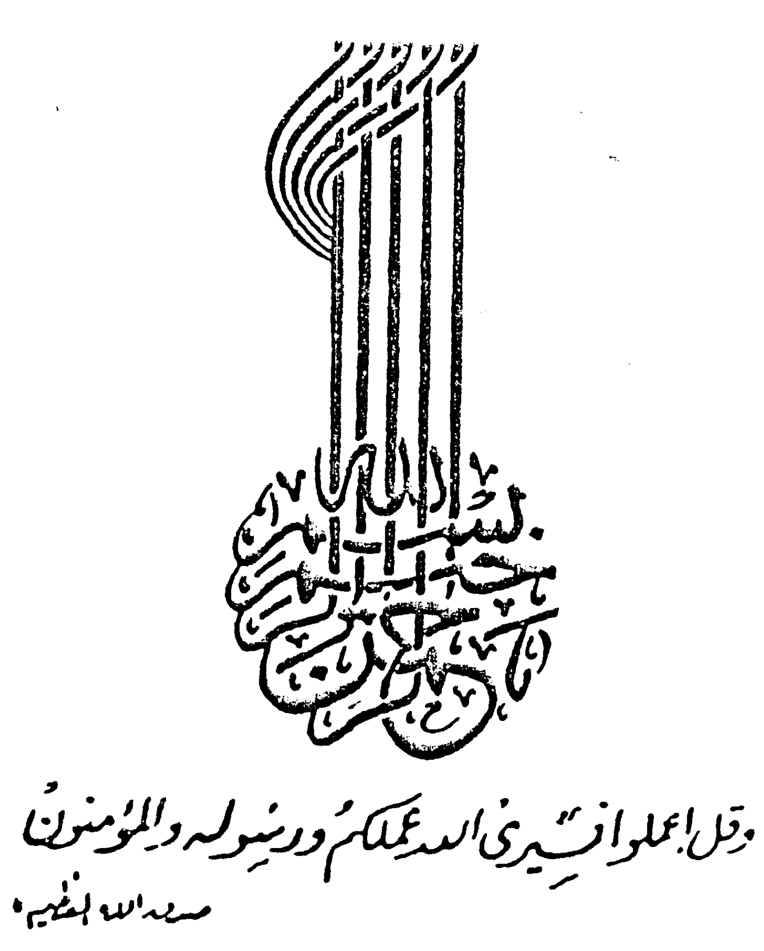
الفلسفة اللغوية عند فتجنشتين

" دراسة تحليلية ونقدية مقارنــــة "

تأليف

الدكتور على حنفى محمـــــود
قسم الفلسفة - كليــــة الآداب
جامعة طنطـــــــا

١٩٩٠



وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

صدق الله العظيم

الفلسفة اللغوية عند فتجنشتين

تمهيد عام :

لاشك أن أغلب الفلسفات المعاصرة تركز اهتمامها على التحليل Analysis حتى اطلق أحد مؤرخي الفلسفة المعاصرين على القرن العشرين اسم " **عصر التحليل** The Age of Analysis " فنحن لا نكاد نجد لدى معظم الفلاسفة المعاصرين هذه الأنساق أو التركيبات الفكرية الهائلة أو المذاهب الفلسفية الضخمة التى نجدها فى الفلسفات التقليدية . انما نلتقى باتجاهات تحليلية يتوخى أصحابها الاهتمام بالمنهج ويحرصون حرصا شديدا على الوضوح فى الفكر والمعنى ،وكذا الدقة البالغة فى استخدام اللغة وأساليب التعبير. وهدفهم من ذلك كله ليس هو اقامة أنساق فلسفية أو ميتافيزيقية متكاملة ،بل يتركز جل اهتمامهم على توضيح العبارات التى تصاغ فيها المشكلات الفلسفية واستبعاد ما هو زائف منها.وخير من يمثل هذا الاتجاه فى الفلسفة المعاصرة فيلسوف التحليل فتجنشتين Wittgenstein ".

لقد ظهرت على مدى الأربعة عقود الماضية ثلاث حركات فلسفية مؤثرة ، ويطلق على هذه الحركات على التوالى أسماء : الذرية المنطقية Logical Atomism والوضعية المنطقية Logical Positivism،(أو التجريبية المنطقية Logical Empiricism)،وفلسفة اللغة العادية Ordinary Language "

وتتفق جميع هذه الحركات على أن الوظيفة Philosophy الرئيسية (ان لم تكن الوحيدة) للفلسفة هى التحليل Analysis غير أننا سوف لا نحاول أن نعرف " التحليل " فى هذه المرحلة نظرا لأن هذه الحركات اختلفت بصورة جذرية حول طبيعة التحليل (أى ما الذى يفعله المرء عندما يريد أن يجرى تحليلا) ،وحول نوع المعلومات التى يمكن للتحليل أن يعطيها لنا عن هذا العالم. بيد أنها جميعا تقف موقفا موحدا وحازما حول : أن التحليل يهتم باستعمال وتوظيف اللغة ،أى أن الحركات الثلاث سالفة الذكر تتفق على أن المشاكل الفلسفية هى - على الأقل جزئيا - مشاكل لغوية ،وبالتالى فانه اذا أريد ايجاد حلول لهذه المشاكل فان ذلك يتم عن طريق نوع معين من التوضيح للغة (٢).

والواقع أن مهمة الفلسفة عند دعاة الوضعية المنطقية تنصب على تحليل العبارات والألفاظ من حيث بناؤها المنطقى العام، لا من حيث طرائق استخدامها فى لغة بعينها ،وتحليل العبارات والالفاظ على هذا النحو،هو نفسه تحليل للفكر من حيث صورته لا من حيث مادته ،لكن هذه اللغة التى نريد تحليلها لا تقوم عند الناس بعمل بواحد، فهى تارة تستخدم أداة رمزية تشير الى أشياء ووقائع فى عالم الطبيعة الخارجى ، وتارة أخرى تكون وسيلة يخرج بها المتكلم وجدانا تضطرب به نفسه كما يفعل الشاعر مثلا ، وحين تريد الفلسفة التحليلية المعاصرة أن تجعل اللغة موضوعها ،فانما تريد اللغة فى مهمتها الأولى، الا وهى مهمة الرمز الى أشياء العالم الخارجى ووقائعه ،مضافا الى ذلك

البحث فى العبارة اللغوية من حيث تكوينها وبناؤها تكوينا وبناء يجعلانها وحدة واحدة على الرغم من احتوائها على أجزاء هى الكلمات وما يشبه الكلمات من رموز، فان كانت العبارة اللغوية مما يستدعى أن ننظر خارجها ليتم معناها بالاشارة الى مسماها، كانت داخلة فى مجال العلوم الطبيعية أو ما يجرى مجراها، وأما ان كان الأمر يقتصر على العبارة نفسها، بحيث تكون طريقة تكوينها وحدها دالة على معناها وعلى صدقها، كانت داخلة فى اطار العلوم الرياضية أو ما يجرى مجراها، بعبارة أخرى، تتوخى الفلسفة التحليلية المعاصرة أن تتناول اللغة من حيث كونها أداة علمية (٣)

ولكن هذا لا يعنى أن ننظر الى اللغة فى الفلسفة التحليلية بوصفها وسيلة فحسب، بل بوصفها أيضا هدفا من أهداف البحث الفلسفى، وهذه النظرة الى اللغة يمكن عدها عنصرا جديدا فى الفلسفة التحليلية واحدى خصائصها الأساسية، ولعل الاهتمام الكبير من جانب بعض الفلاسفة التحليليين باللغة من أمثال مور وفتجنشتين (وخاصة فى كتاباته المتأخرة) ، قد جعلت بعض الباحثين يعرفون الفلسفة التحليلية بأنها مجرد دراسة اللغة. (٤)

ومن ثم فليست الفلسفة منافسة للعلوم فى موضوعات بحثها ، بل هى تخدم تلك العلوم بتوضيح قضاياها، ومعنى ذلك أنه اذا كان عمل العلوم هو أن تقول أقوالا عدة فى وصف الأشياء الطبيعية على اختلافها، فوظيفة الفلسفة هى البحث فى منطق تلك الأقوال العلمية لازالة غامضها، فعلم الحيوان - مثلا - يبحث فى

- الحيوانات ذاتها من حيث خصائصها وعلاقاتها بعضها ببعض ، وعلاقاتها بما ليس حيوانا ٠٠٠٠٠الخ ،وأما الفلسفة فى هذه الحالة فمهمتها تحليل العبارات التى قيلت فى الحيوان - ولقد رأى فتجنشتين فى الفلسفة هذا الرأى نفسه ، اذ قال أن "العمل الفلسفى فى جوهرة توضيحات ،فليست مهمة الفلسفة أن تنتج لنا عددامن القضايا (التى تصف الأشياء) بل مهمتها أن تجعل القضايا واضحة " (٥)، وتعليقا على قول " فتجنشتين " هذا، يقول " كارناب Carnap " : " أننى أوافق فتجنشتين على أن منطق العلم (أى الفلسفة) ليست له جمل خاصة به ،اذ ينصب كلامه كله على طريقة تركيب الجمل التى قالها العلم ،واذن فمنطق العلم (أى الفلسفة) لا تضيف الى ميادين العلوم ميدانا جديدا " (٦).

وهكذا ينادى كل من فتجنشتين وكارناب بالانفصال الجذرى بين الفلسفة والعلم. ويؤكد أن على أن مهمة الوسائل اللغوية تتمثل فى ازالة الغموض المنطقى الذى تحدثه الميتافيزيقا (٧).

وهنا يحق لنا أن نتساءل : " ولكن ،ماذا عسى أن تكون مهمة الفلسفة ؟ يجيب " فتجنشتين " على هذا التساؤل بأن للفلسفة مهمة مزدوجة ،أو مهمتين أساسيتين : فهى من ناحية لابد من أن توضح لنا أن كل قضية هى صورة لواقعه ،وهذا مالا يمكن أن نقوله أو أن نعبر عنه بعبارة لغوية ،نظرا لأنه ليس من شأن أية قضية

أن تخبرنا بشىء أو أن تقول شيئا عن نفسها. فلو أننا افترضنا مثلا أنه لابد لكل قضية من أن تنطوى على موضوع ومحمول ،لما كان فى وسعنا أن نعبر عن هذا المعنى فى قضية أخرى ،أو لو أننا قلنا أنه لابد لكل قضية من أن تتخذ الشكل التالى : " أما أ أو ب " ، لماكان فى استطاعتنا أن نعبر عن هذه القضية فى قضية أخرى . وكذلك ليس فى مقدورنا أن نخبر بقضية أو قول أو مفهوم كيف يمكن لأية قضية أن تصور الواقع. وتبعا لذلك فانه ليس فى وسع الفيلسوف أن يعبر بواسطة اللغة عن ذلك العنصر المشترك الذى يقول بوجوده بين اللغة المنطقية المكتملة من جهة ، وما تمثله هذه اللغة فى الواقع من جهة أخرى . والسبب فى ذلك أنه لما كانت مهمة اللغة ـ بحكم تعريفها ـ هى أن تقرر وقائع فانها لا تستطيع فى الوقت نفسه أن تقرر وجود تشابه أولى بين الوقائع والقضايا التى تقررها . وحين يحاول الفيلسوف أن يستخدم اللغة لكى يظهرنا على طبيعة البناء الميتافيزيقى الحقيقى للعالم الواقعى ، فانه عندئذ لابد من أن يجد نفسه مضطرا الى اصطناع عبارات خالية تماما من كل معنى ! ولعل هذا ما عبر عنه فتجنشتين بقوله : " ان ما لا يستطيع المرء أن يتكلم عنه ،لابد من أن يحيطه بالصمت " ! (٨).

ومن ثم فقد انكب " فتجنشتين" بصورة رئيسية على صياغة البناء Structure المنطقى الأساسى لـ " مايمكن أن يقال " ،أى الشروط التى تهيىء المعنى للقضايا Propositions التى

نستعملها لبيان أوتمثيل " Represent " حالة الأشيـاء في هذا العالم. وقد وجه فتجنشتين اهتمامه لتعيين الحدود الفاصلة بين ما يفهم (أى ماله دلالة) وما لا يفهم (ما ليس له دلالة) فى استعمالاتنا للغة.(ويجب الاقرار فى نفس الوقت بأن فتجنشتين نفسه ،على العكس من كثير من الفلاسفة التحليليين واللغويين، كان له صلة قوية وادراكا عميقا بتلك الجوانب من خبراتنا والتى لا يمكن التعبير عنها مطلقا بواسطة اللغة والتى أسماها أحيانا باسم الغيبيات "Mystical" . وفى كل الأحوال، فقد انشغل هذا الفيلسوف عند كتابته " للرسالة Tractatus "، بتحديد هوية أو صفة ما يمكن التعبير عنه - وتم التعبير عنه بوضوح - عندما نستعمل اللغة لبيان وقائع . ويقع كل ذلك على " هذا الجانب من حدود اللغة (٩).

هذا وقد استخدمت فى هذا البحث منهجا تحليليا تركيبيا فى الأساس ، وهو منهج يتفق مع طبيعة هذا البحث ، كما استعنت بالمنهج التاريخى أحيانا والمنهج النقدى المقارن كلما دعت الحاجة الى ذلك .

ولقد بدأت البحث بالتساؤلات أو الافتراضات التالية :

١ - هل التزم فتجنشتين فى فلسفته اللغوية بموقف واحد وبنظرة واحدة طوال حياته الفكرية ،أم أن فلسفته اللغوية أصابها التعديل والتبديل كلما نضج فتجنشتين وتأثر بوجهات نظر أخرى ؟ .

٢ - ما هى مكانة فتجنشتين الدقيقة بالنسبة الى غيره من فلاسفة اللغة ؟ .

٣ - هل يمكن اعتبار فلسفة فتجنشتين اللغوية فلسفة جديدة تماما بكل عناصرها ، أم أنها متأثرة بمفكرين آخرين ؟ .

أولا - فتجنشتين : حياته وعصره ومؤلفاتــه

ولد "لودفيج فتجنشتين Ludwig Wittgenstein في فيينا عام ١٨٨٩م وتوفى في كامبردج بانجلترا عام ١٩٥١م. وكان جده يدين باليهودية ولكنه ارتد عنها وأصبح مسيحيا بروتستنتينيا ، وكان والده رجل صناعة ثريا وأحد الأقطاب البارزين في صناعة الحديد والصلب في النمسا . أما والدته فكانت كاثوليكية ، وقد تم تعميده في الكنيسة الكاثوليكية ودفن حسب المراسيم المتبعة في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وكان لودفيج الأخ الأصغر بين اخوته الثمانية وتربى عضوا في أسرة تتمتع بمواهب فكرية وفنية عالية ،فقد لعبت الموسيقى دورا هاما في حياة أسرة فتجنشتين .

تلقى فتجنشتين تعليمه حتى سن الرابعة عشر في البيت ، ثم التحق بعد ذلك بالمدارس في كل من النمسا والمانيا. وكان فتجنشتين يتمتع بموهبة فذة في التصميم Desiging والانشاء Constructing وحتى في اصلاح الآلات ، وقد اختار دراسة الهندسة في أول عهده بالدراسة. حيث التحق عام ١٩٠٨ بجامعة مانشستر Manchester بانجلترا وقضى ثلاث سنوات في دراسة محركات الطائرات، وخلال هذه الفترة تكون لديه اهتمام خاص بتصميم محركات الطائرات النفاثة ذى الدفع الخلفي . ولما كان هذا المجال يتطلب معرفة فنية كبيرة بالرياضيات فقد وجد فتجنشتين نفسه ينغمس تدريجيا في مجال الرياضيات البحتة

بمفاهيمها وأساليبها الأساسية ، وبعبارة مختصرة وجد نفسه منغمسا في دراسة " الأسس أو ما يعرف بفلسفة هذا التخصص وفي سبيل ذلك أجرى دراسة دقيقة لكتاب رسل Russell " مبادىء الرياضيات The Principles of Mathematics " الذى ظهر في عام ١٩٠٣ وقد أعجب بهذا الكتاب أيما اعجاب . وكان رسل Russell مدينا بجانب كبير من فكره الى الأبحاث الرائدة للمفكر الألماني الشهير المنطقى " جوتلوب فريجة Gottlob Frege (١٨٤٨ - ١٩٢٥) . (وقد قبل رسل في وقت لاحق الاشتراك مع مفكر منطقى آخر معروف بالاضافة الى كونة عالم رياضيات وفيلسوف هو " الفرد نورث هوايتهد Alfred North Whitegead وكتبا معا كتابه " مبادىء الرياضيات Principia Mathematica " الذى قدر له أن يصبح عملا كلاسيكيا عظيما في مجال " المنطق الرمزى المعاصر Symbolic Logic وهو المنطق الذى نافس المنطق الأرسطى القديم ومنثم حل محله ، مع العلم بأن منطق أرسطو كان يدرس في المدارس على مدى قرون عديدة)(١٠). وسوف نحاول هنا أن نفسر بطريقة مبسطة لأهم الأفكار الرئيسية التى وردت في كتاب "مبادىء الرياضيات "

المنطق الجديد The New Logic

كان الاعتقاد قديما - واستمر هذا الاعتقاد ساريا حتى أواخر القرن التاسع عشر - بأن المنطق الأرسطى كان ولازال له السيادة على الفكر الفلسفى . وفي هذا الصدد نشير الى أن "كانط Kant " - مثلا - قد أكد بأن المنطق الذى وضعه أرسطو

كان من بين سائر المجالات الفلسفية موضوعا تاما وكاملا حتى عندما يتناول أدق التفاصيل . وقد اثبت كل من رسل وهوايتهد أن هذا الرأى خاطئ من جميع الوجوه . فما أن بدأ القرن العشرين حتى وضع هذان الفيلسوفان بعد قرابة عشر سنوات من العمل الدؤوب أسس نوع جديد من المنطق يعد أوسع نطاقا بكثير من المنطق الأرسطى ، ولم يأخذ المنطق الجديد الا بالقليل جدا من المنطق الكلاسيكى .وكان هذا المنطق الجديد يشبه حساب التفاضل والتكامل فى الرياضيات وقريب الصلة من عناصر هندسة اقليدس " Euclid " ، الا أنه يختلف عنه فى كونه يتسم بقدر أكبر من التعميم : فهو لم يذكر الخطوط والنقاط والأسطح المستوية بل تحدث فقط عن العلاقات بين الرموز بعضها بعضا (مما دفع بالبعض بتسميته باسم المنطق الرمزى). ويمكن تحديد الفرق الرئيسى بين المنطق الأرسطى والمنطق الجديد على النحو التالى : لقد كان منطق أرسطو فى جوهره منطق فئات " Classes " ، فى حين أن منطق رسل كان منطق قضايا Propositions . ويقصد بكلمة " فئة Class " كيان " Entity " تدل عليه كلمة أو لفظ مثل : " رجل أو " أخ" أو "انسان "...الخ . وتبين القضايا الرئيسية فى منطق أرسطو مثل " جميع الرجال بشر" أو " بعض الرجال بشر" علاقات فئات من الأشياء بعضها ببعض . فمثلا القضية القائلة " ان جميع الرجال بشر تبين بأن فئة الرجال تنضوى ضمن فئة الأشياء البشرية ،فى حين أن القضية القائلة بأن " بعض الرجال بشر" تبين أن بعض فئة الرجال تنضوى ضمن فئة الموضوعات البشرية . أما منطق

"رسل" فقدتحدث عن العلاقة بين القضايا بعضها البعض (فمثلا : اذا كانت السماء تمطر فان الشوارع تكون مبتلة) ، فجملتي " السماء تمطر" و" الشوارع مبتلة" تعبران عن قضيتين تقفان فى علاقة معينة الواحدة تجاه الأخرى،وهى علاقة أطلق عليها " رسل " اسم " تضمن Implication" • وقد استطاع رسل أن يبين أنه يمكن عن طريق هذا المنطق تفسير أو تحليل العلاقة بين فئات الأشياء أيضا ،ومن هنا فان النسق المنطقى عند رسل لم يتضمن وحسب معالجة أرسطو للمنطق بل انه ذهب فى الوقت نفسه الى أبعد من ذلك وتجاوزه •

ومما لاشك فيه أن كتاب " مبادئ الرياضيات Principia Mathematica يعد على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للفلسفة وذلك لسببين على الأقل هما :

١ - أنه أثبت أن الرياضيات التى كان يعتقد بأنها تمثل مجالا مستقلا ومحددا - هى فى الواقع جزءا من المنطق • وقد أوضح رسل هذه الحقيقة عن طريق الاستنباط Deducing من أفكار منطقية بحتة فوضع مجموعة من المسلمات Postulates التى حددها عالم الرياضيات الايطالى الكبير " بيانو Peano" ، وانطلاقا من هذه المسلمات عرف فيما بعد أن علم الحساب Arithmetic " يمكن اشتقاقه منها •

٢ - أوضح رسل أيضا أن اللغات المستعملة يوميا أو "اللغات الطبيعية" مثل اللغة الانجليزية تملك بناء" أساسيا مماثلا

لذلك البناء Structure " الذى يقوم عليه " مبـــادىء الرياضيات Principa Mathematica " . وعلى الرغم مـــن أن اللغات الطبيعية تماثل الـ " المبادىء Principa " من هذه الناحية الا أنها تبقى لغات تتسم بالقصور اذا ما أريد استعمالها لغرض التحليل الفلسفى ، نظرا لأنها أقل وضوحا ودقة . ومن هنـــا نشأ اعتقاد بأن المنطق الرياضى قادر على أن يزود الفلسفـــة بأداة أو وسيلة حادة كالموسى اذاما أريد توضيح معانى الجمل الانجليزية ،وأدى هذا الاعتقاد بدوره الى ظهور الأمل فى امكانيـــة معالجة النزاعات الفلسفية بصورة محددة وقاطعة عن طريـــــق استخدام أداة منطقية جديدة (١١).

وكان أكثر ما يشغل بال رسل وفريجه يتمثل فى اعطـــاء تحليل منسق وواضح الملامح للأنماط المنطقية الأساسية لفكرنـــا ولغتنا ، مما أثار اهتمام فتجنشتين الى أبعد الحدود . ولذلـــك تخلى فتجنشتين عن دراسة الهندسة وأخذ بنصيحة " فريجة " وذهـــب عام ١٩١١ الى كامبردج للدراسة مع رسل .وأثناء دراسته بجامعـــة كامبردج ارتبط فتجنشتين بعلاقة صداقة مع الفيلسوف ج.أ. مــــور G.E. Moore " ومع عالم الاقتصاد " جون ماينارد كنـــز John Maynard Keynes " . وبالاضافة الى اشتغاله بالدراســـات المنطقية خلال تلك الفترة فقد أجرى بعض التجارب فى مختبر علم النفس على طبيعة الأنغام الموسيقية . وبعد دراسة امتدت خمســـة فصول فى جامعة كامبردج ، رحل فتجنشتين الى النرويج Norway حيث بنى لنفسه كوخا وعاش فيه وحيدا ومنعزلا عن العالم ،وظـــل

يعمل فى ظل هذه الأوضاع حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

ثم تطوع فتجنشتين للخدمة فى الجيش النمساوى وأصبح ضابطا فيه وحصل على عدة أوسمة تقديرا لشجاعته. غير أنه وقع فى أسر الايطاليين عام ١٩١٨، وقضى جزءا من فترة أسره كسجين حرب فى أحد معسكرات الاعتقال بجنوب ايطاليا حيث استكمل كتابة أول أعماله الكبيرة (بخط يده) والذى أطلق عليه فيما بعد اسم: " الرسالة المنطقية الفلسفية Tractatus Logico- Philosophicus (وتجدر الاشارة الى أنه كان من عادة فتجنشتين أن يكتب أفكاره الفلسفية فى مجموعة متسلسلة من دفتر المذكرات ،كما أن جميع مؤلفاته الرئيسية قد تم كتابتها عن طريق تجميع هذه الملاحظات وترتيبها) . وقد عرض فتجنشتين نسخة مخطوطة باليد من مؤلفه على رسل الذى نجح فى آخر الأمر فى ترجمته الى اللغة الانجليزية ومن ثم نشره. وقد قام رسل بكتابة مقدمة هذا الكتاب بنفسه. (غير أن فتجنشتين شعر بأن رسل قد أخفق فى تفهم ما كان يرمى اليه فعلا) . وقد تمت كتابة هذا الكتاب الصغير(حيث أن عدد كلماته لا تزيد على عشرين ألف كلمة) بصورة مكثفة جدا كسلسلة من التقارير المرقمة . وكان فتجنشتين يعتقد فى ذلك الوقت بأن الكتاب قد قدم" الحل لكافة المشاكل الفلسفية ".وبالفعل فان هذا الكتاب أصبح يمثل واحدا من أهم الأعمال الفلسفية الكلاسيكية فى القرن العشرين .وعلى الرغم من صغر حجم هذا الكتاب الا أنه يصعب على الفهم، فقد أشار - مثله فى ذلك مثل

الأعمال الفكرية العظيمة الأخرى - ضجة كبيرة ومتعاظمة من التأويلات على شكل تعليقات وتفسيرات (١٢).

ولما كانت التعبيرات الواردة فى كتاب الرسالة Tractatus مليئة بالحكم والأقوال المأثورة فقد استعمل فيه كلمات عادية مألوفة معبر عنها بطريقة جديدة ولكن بدون تفسير لمعانيها. وبدا كأن فتجنشتين يضع نفسه موضع المؤسس لاحدى الديانات أكثر منه كمفسر وشارح لاحدى الفلسفات، الأمر الذى جعله غير مبال - أكثر منه غير قادر - على جعل عملية فهم ما يكتبه عملية سهلة. وبترجمة هذا الكتاب الى الانجليزية قد فقد الى حد ما كثيرا من أصالته وفصاحته ولكنه لم يفقد تأثيره وخاصة بالنسبة للتفسيرات غير المتفقة فيما بينها والتى أسفر عن ظهورها الكتاب.

وبصفة عامة فان كتاب " الرسالة Tractatus " قد حدد أسس نظرية عامة فى اللغة Language وعلاقتها بالعالم، فهو يعطينا اجابة على سؤال يقترب الى تفكير كانط Kant وهو كيف تكون اللغة - وكذلك التفكير - ممكنا ؟ وخلافا لما افترضه رسل Russell " فى مقدمة الكتاب المذكور، فان فنجشتين Wittgenstein لم يكن يعرض لغة مثالية لتتفق مع أكثر المستويات تشددا فى الكمال المنطقى، بل أنه كان يحاول فى هذا الكتاب أن يكشف عن البناء الأساسى الذى يتعين أن تمتلكه أية لغة قادرة على أن تطرح نفسها للاستعمال الموسع والذى - بناء على ذلك -

يجب أن يكون قابعا وراء السطح المألوف للغتنا الفعلية (١٣).

ويحتوى كتاب الرسالة Tractatus على جملتين شهيرتين (وردت احداهما فى أول الكتاب والأخرى فى آخره) وهما : "ان العالم هو القضية بكاملها The World is all that is the Case والجملة الأخرى : " فى الحالات التى لا يستطيع فيها المرء أن يتكلم فعليه أن يصمت

"Whereof one Cannot Speak,Thereof one must be Silent

ثمة فكرة رئيسية فى هذا الكتاب يشار اليها فى أحيان كثيرة باسم : " نظرية صورة المعنى The Picture Theory of Meaning ومفادها أننا اذا فكرنا باللغة على أنها مركبة من سلسلة من القضايا ،فان السؤال الرئيسى يتمثل فى كيفية وصف نوع العلاقة بين القضية وعالم الواقع Fact وهناك اقتراح أو نموذج قوى للاجابة على هذا السؤال خطر فى بال فتنجشتين وذلك فى أحد الأيام من عام ١٩١٤ بعد قراءته لحيثيات دعوى قضائية تنطوى على حادث سيارة . وتم خلال المحاكمة عرض رسومات مصغرة للسيارات والأشخاص والمنازل التى لها علاقة بالموضوع فى قاعة المحكمة . وكانت هذه الرسوم تشير الى الأشياء والأشخاص الحقيقيين ذوى العلاقة بالحادث . وكان النمط الذى حدث فيه على أرض الواقع ،أى أن كل رسم مصغر كان صورة للشىء أو للشخص الذى يقابله . وأدرك فتجنشتين ببصيرته الثاقبة أنه يمكن للمرء أن يفكر بقضايا (أى كلمات من اللغة مرتبة بطريقة معينة) وأن يجعلها تعطى فى نفس الوقت انطباعا

للحقيقة (أى لما يجرى حقيقة) . وعليه فان مهمة " التحليل المنطقى Logical Analysis" هى تشذيب وازالة ماهو غير ضرورى (أو غير متصل بالموضوع) اذا ما أريد الحصول على الأساس أو الحقيقة العارية Bare Bones " للصورة المنطقية Logical Picture " الماثلة فى كل قضية ذات معنى ودلالة والتى تسعى لبيان بعض المفردات فى " ماهية القضية ". واذا كان الأساس صحيحا فان شكل أو بنية القضية المحللة تحليلا مناسبا يناظر أو يصور الحقيقة أو الوضع القائم فى العالم . (هذا وسوف نعود فى مكان آخر لاعطاء وصف أشمل لهذه الطريقة فى التفكير ولبعض أوجه النقد التى وجهها فتجنشتين نفسه فى آخر الأمر لهذا الأسلوب بأسره) .

حيث أن فتجنشتين كان يعتقد أنه بكتابة " الرسالة Tractatus" قد وضع حلا لكافة المشاكل الفلسفية ،فقد توقف عن البحث الفلسفى النشط لعدة سنوات . وفى عام ١٩١٢ توفى والده (كارل فتجنشتين Karl Wittgenstein) وحصل الابن الفيلسوف على ميراث كبير . على أن من أول الأعمال التى قام بها فتجنشتين لدى عودته من الخدمة العسكرية تنازله عن جميع أمواله باعطاء بعضها على شكل هبات أو تبرعات مجهولة المصدر الى عدد من الكتاب والشعراء المشهورين . أما فتجنشتين نفسه فقد عاش معظم سنين شبابه حياة تتسم بشدة التقشف والبساطة .

وفى نهاية الحرب العالمية الأولى ،التحق فتجنشتين باحدى مدارس تدريب المدرسين ،وعمل خلال الفترة من ١٩٢٠ -١٩٢٦ مديرا

لمدرسة فى احدىالقرى الواقعة فى جنوب النمسا . وبعد أن استقال من هذه الوظيفة عملمساعد بستانى لبعض الوقت فى أحد الأديرة بالقرب من فيينا . وقدقضى فتجنشتين فترة عامين فى تصميم قصر لسكنى احدى أخواته والاشراف على بنائه بالقرب من فيينا . وقد أسفر ذلك عن طراز معمارى يتسم بالجهامة والتزمت الشديدين بالنسبة للخطوط المعمارية الحديثة بالاضافة الى خلوه من كافة أنواع الزخرفة (الديكور) . وتنم الخطوط القليلة والمستقيمة على بساطة منطقية صارمة تذكرنا بالبنية المنطقية المحكمة التى نجدها فى كتاب " الرسالة Tractatus " .

وبحلول نهاية العشرينات انتعش اهتمام فتجنشتين بالفلسفة مرة أخرى وعاد الى كامبردج فى عام ١٩٢٩. وفى هذه الفترة قامت جامعة كامبردج بمنحه درجة الدكتوراه وأصبح زميلا فى كلية ترينتى Trinity " . وفى عام ١٩٣٩ تقلد فتجنشتين منصب أستاذ لمادة الفلسفة بجامعة كامبردج وشغل مقعدالأستاذية الذى كان يشغله سلفه ج.أ. مور G.E. Moore . وكانفتجنشتين يعقد ندواته فى قاعات أو غرف لا تحتوى الا على القليل من الأثاث فى كلية ترينتى،وكان يجلس فى كرسيه القابل للطى . والذى يشبه المركب بملابس تكاد تكون غير تقليدية ليدير محاورات ومناقشات معقدة بصورة ارتجالية مع مجموعة مختارة من الطلاب . وطبقا لما يذكره بعض هؤلاء الطلاب بأن فتجنشتين كان يظهر خلال تلكالمناقشات قدرا أكبر من التركيز والجدية والطهارة فى تفانيه عندما يجهز نفسه ويتشبث فى كيفية الاجابة

على الاستفسارات المختلفة وكيفية الافصاح والتعبيرعن أفكاره الخاصة. وقد تمخضت هذه الندوات والمناقشات عن مجموعتين من المذكرات التى أعدها الطلاب فى ذلك الوقت وعرفت الأولى باسم " الكتاب الأزرق Blue Book " والثانية باسم " الكتاب البنى Brown Book " (وقد تم نشرهما فيما بعد تحت نفس العنوانين) . وتمثل هذه المذكرات الدراسات الأولية لكتابه الرئيسى " تحقيقات فلسفية Philosophical Investigations" الذى نشر بعد وفاته والذى يضاهى كتابه الأول" الرسالة Tractatus" فى كونه تحفة كلاسيكية فى الفلسفة المعاصرة (١٤).

ويبدو للوهلة الأولى أن السمة المميزة لكتابى " الرسالة Tractatus " وتحقيقات فلسفية " هى عنصر الغموض والابهام كقاسم مشترك فى أفكارهما. وحقيقة الأمر أنهما غامضان من نواح مختلفة. فقد قام فتجنشتين بعرض كتابه الأول بأسلوب مبسط جامد كالمرمر Marmoreal " وبطريقة يتم التعبير فيها عن الأفكار التى تشبه الأمثال أو الأقوال المأثورة بلهجة متساوقة كالهام نبوىء Prophetic " ،فى حين أن الكتاب الآخر يتسم بعدم الترابط وباللغة الدارجة غير الفصحى مع اقتران ذلك بمزاج متقلب وتصاعد فى الجمل الجدلية يصل بين الحين والآخر الى مجموعة من التساؤلات والتلميحات المقنعة والتصريحات الثبوتية تشبه تلك الواردة فى أسلوب الكتاب الأول . وعلاوة على ذلك فان محتوى كل من الكتابين تبدو متعارضة متضادة مع الأخرى ، فحيث ينظر" الرسالة Tractatus " الى اللغة بصفتها

ماهية Essence جامدة منطقيا تستتر وراء السطح الطارىء للتخاطب والمخالطة اليومية ، أو كهيكل عظمى يتعين اجراء حفريات لاكتشافه عن طريق التحليل المتوغل فى العمق ، فان كتاب "التحقيقات Investigations " ينظر الى اللغة كأمر مقبول كما هى فى الواقع أوكما نشاهدها ، أى كمنظومة حية ، غير منتظمة ومتعددة الأشكال من اصطلاحات تقليدية عامة من أجل تحقيق قدر أو تشكيلة كبيرة من الأغراض الانسانية وليس فقط أغراضا قابلة للتصنيف .

وعلى أية حال فان الكتابين بالطريقتين المختلفتين اللتين كتبا بهما يتفحصان نفس الموضوع وهو : علاقة اللغة بالعالم . وعلى الرغم من التحول الذى طرأ على موقف فتجنشتين والمتمثل فى رفضه لمعظم المبادىء الأساسية التى استنها فى كتاب " الرسالة Tractatus " ، فان الوقت الطويل الذى استغرقه لتفنيد هذه المبادىء فى كتابه الآخر يوضح حقيقة مفادها أنه حتى لو كانت الاجابات الواردة فى الكتاب الأول خاطئة ، فان الأسئلة التى كانت تلك اجاباتها لم تكن خاطئة . ومن ناحية أخرى فان فتجنشتين لم يتخل عن كل ما قاله فى الكتاب الأول ، فقد عاود التأكيد بصورة خاصة (وان كان ذلك بأسلوب جديد) على أفكاره الواردة فى الكتاب الأول والقائلة باستحالة الفلسفة . ولعل أقل الملامح تقبلا فى كتاب الرسالة Tractatus هو الادعاء الذى يدحض نفسه بنفسه والقائل بأن الجمل التى يتألف منها هذا الكتاب تمثل محاولات بدون معنى للتعبير عما

يمكن أن يوضح فقط ،وأن هذه الجمل - فى أفضل الأحوال - تشبه سلماً استعمل للصعود ثم أزيح بعيدا ، وهذا هو نفس الأمر الذى أخذ فى الكتاب الثانى شكل نظرية فلسفية فحواها أنه ليس من الفلسفة فى شئ أن تقدم أو تقترح النظريات ،بل انها تكمن فقط فى وصف الحقائق المتعلقة باللغة والمألوفة لدينا تماما من قبل،مع ترتيب هذه الأوصاف المألوفة بطريقة تسعى الى كسر قبضة أو سيطرة أسباب اللبس والفوضى والعبارات المتناقضة على عقولنا (١٥).

أما كتابات فتجنشتين التى أنتجها بعد ذلك فكانت تتضمن محاولة لايجاد منهج فى معالجة فلسفة اللغة يختلف تمام الاختلاف عن ذلك المنهج الذى استخدمه فى كتاب الرسالة "Tractatus" وبالاضافة الى الأعمال الرئيسية المتعلقة بفلسفة اللغة فقد كتب فتجنشتين فى أعماله الأخيرة وبشكل مكثف " فلسفة الرياضيات " Philosophy of Mathematics " .

عاش فتجنشتين فى انجلترا منذ عام ١٩٢٩ وحتى وفاته عام ١٩٥١،وحصل فى تلك الأثناء على الجنسية البريطانية ،على الرغم من عدم تعلقه الوثيق بأساليب الحياة الانجليزية . فقد كان يقوم من وقت لآخر بعزل نفسه عن الجو الأكاديمى لجامعة كامبردج(وهو مجال بدا وكأنه لا يميل اليه أيضا) ليعيش لفترات قصيرة فى بلدان أخرى كالنرويج وايرلندا والولايات المتحدة الامريكية . وكانت شخصية فتجنشتين من ذلك النوع المتوتر ،والمضطرب من

الشخصيات ، فقدكان كثيرا يلح بالطلبات التى كانت أحيانــــــا مجحفة من أصدقائه المقربين. ومع ذلك فقد كان يتمتع بمجموعـة من المحبينوالمريدين الذين كانوا شديدى الاخلاص والولاء لـــه . وقد قال ذات مرة :" على الرغم من أننى لا أستطيع منح الحب ، الا أننى بحاجة ماسة الى هذا الحب "(١٦).

ما كاد فتجنشتين يلتحق بعمله كأستاذ للفلسفة فىجامعـة كامبردج عام ١٩٣٩ حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية ،فعمــل فى أول الأمر بوابا Porter لاحدى مستشفيات لندن ثم عمل فــى أحد المختبراتالطبيةفى مدينة نيوكاسل " New Castle" . وبحلول عام ١٩٤٩ بدأت حالته الصحية فى التدهور بشكل سريـــع وتبين أنه كان يعانى من السرطان Cancer . وبالرغم مــن ذلك فقداستمر فى العمل فى مجال الفلسفة حتى النهاية. وقـام بتسجيل بعض أفكاره ذات القيمة الفنية العالية وذلك فى موضوع " اليقين أو الحقيقة The Topic of Certainty" حتى قبـــل يومين من وفته وذلك فى التاسع والعشرين منابريل عـام ١٩٥١ ، وكانت وفاته فى منزل طبيبه الخاص (١٧).

ثانيا - عناصر فلسفة فتجنشتين اللغوية

(١) التحليل المنطقى Logical Analysis

شهدت بريطانيا فى سنوات مابين الحربين، أى عندما كانت الواقعية Realism تمثل الشكل الرسمى للفلسفة الأكاديمية بداية تطور التحليل المنطقى فى مرحلته الأولى كفكر يعتمد المذهب الذرى Atomist ومن ثم فى مرحلته الوضعية أو اليقينية ، وبشكل متزايد فى معارضة قوية للواقعية. وبحلول بداية العقد الثانى من هذا القرن أصبحت المثالية Idealism فى موقف شديد التراجع على الأقل خارج اسكتلندا Scotland التى كانت بمثابة مرتعها الخصب . ولم يتمسك بها كقوة فلسفية فعالة الا مجموعة منعزلة، ان لم تكن ممتازة، من الفلاسفة الذين شكلوا حماية خلفية للمثالية وعلى رأسهم "ماكتيجارت Mc. Taggart" وكولينج وود Colling Wood " وما أن نشر رسل Russell أعماله الهامة فى الفترة الوسيطة بين كتابه " معرفتنا للعالم الخارجى Our Knowledge of the External World عام ١٩١٤ وكتابه" تحليل العقل Analysis of Mind عام ١٩٢١ وكتاب فتجنشتين بعنوان" الرسالة المنطقية الفلسفية Tractatus Logico-Philosophicus عام ١٩٢٢ حتى انطلقت الذرية المنطقية Logical Atomism" بسرعة مدهشة لتملأ الفراغ ولتلقى ظلالا دامسة على الانتصار الذى سجله المذهب الواقعى. ويرجع السبب فى قدرة هذا الفكر الشامل على تحدى الواقعية الى القوة الخاصة التى كانت تميز العبقرية الفلسفية

لفتجنشتين الذى لم يكتف باطلاق القليل من الأعمال النقدية المتفرقة ضد المذهب الواقعى فحسب ، بل انه وضع نسقا تاما ومتكاملا من الاجابات المعارضة لكافة الأسئلة الرئيسية التى زعمت الواقعية بأنها وجدت حلولا لها. وكانت ملاحظته الفظة التى أوردها فى مقدمة كتابه المذكور آنفا - وهو كتاب يعالج مشاكل الفلسفة - قد أكسبته ادعاء له ما يبرره فى أنه قادر على الوصول الى ما يريد .

كانت فلسفة التحليل المنطقى فى كافة صورها تتألف بصورة رئيسية من تطبيقات المنطق الرسمى الجديد الذى ابتدعه "فريجة Frege ، ورسل Russell على المذهب التجريبى الراديكالى لهيوم Hume. مع العلم بأن أفكار " هيوم " كانت قد استكملت وأعيدت الى الحياة بواسطة " مل Mill " و"ماخ Mach " وّوليم جيمس William James " . على أن ما وصلنا من تراث من هذه الأفكار عن طريق هؤلاء الفلاسفة الوسطاء يعطينا شيئا ما لتفسير الاختلافات المميزة بين الصيغ الانجليزية والأوربية والأمريكية من هذه الفلسفة. وكانت هذه الحركة التحليلية والتجريبية منطقية من ناحيتين : فهى أولا قد اتخذت فكرة مبادىء الرياضيات Principia Mathematica "كنموذج لها فى ابداع الشكل الملائم لنظرية المعرفة واتجهت نحو تمثيل المعرفة البشرية بأكملها فى نسق منطقى واضح يشتق فيه كل شىء بتعريفات جلية وصريحة وبقواعد " الاستدلال Inference " من حصيلة مبدئية عند حدها الأدنى من المفاهيم الأساسية غير المحددة

والقضايا الأساسية التى لا يمكن رفضها أو انكارها . وهى ثانيا قد استخدمت ثلاثة ملامح فنية من منطق " رسل " من أجل القيام بالتحليلات اللازمة لها ،وتتلخص هذه الملامح فيما يلى :

أ - أنها اعتمدت مبدأ الامتدادية Extensionality " الذى أوحى به وصف "رسل " للقضايا المركبة كوظائف حقيقية لقضايا أولية ومؤكدة فى نفس الوقت ،على أن هذه المركبات ليست أكثر من تجميعات لهذه العناصر .والاستطراد من هذا المنطق نحو قبول التصنيف Classification " الذى وضعه " رسل " للأشكال الممكنة للقضايا .

ب - أنها استخدمت بصورة موسعة الأسلوب الذى ابتدعه " رسل " لتحليل أوصاف محددة يتم فيها بصورة رئيسية التخلص من التعبيرات المنطوية على مشاكل من صلب الموضوع عن طريق اعتماد قواعد لترجمة " الجمل Sentences التى ظهرت فيها الجمل خالية من هذه القواعد . وباستعمال هذه التعريفات ثم توضيح أن الرجوع الى الموضوعات المادية والعقول والفئات Classes " والأعداد تشكل رموز غير كاملة Incomplete Symbols " ، كما أن الكيانات Entities " التى بدت وكأنها ترجع اليها قد تم تحليلها بصورة مبسطة الى معطيات شعورية تجريبية بصورة لا يمكن انكارها .

ج - أنها تبنت وبصورة عامة أيضا نظرية " رسل " حول الأنماط

Types وهى نظرية أضافت اعتبارات منطقية الى نواحى " التحديدات القواعدية Grammatical Oimitations "والمتعلقة بالطرق الممكنة لربط التعبيرات من أجل تكوين مفاهيم مؤكدة ذات مغزى . وكان من شأن المفارقات Paradoxes "المنطقية أن جعلت " رسل " يرى أن الجمل غير المكونة تكوينا قواعديا جيدا قدتكون على الرغم من كل شئ غير ذات معنى . ومن هنا استخلص المحللون المنطقيون أن المدخل الرئيسى لأى نظرية حول المعرفة يقوم بوضع شروط للتمييز بين الحقيقى والزائف ،وهو ماكانت تعالجه نظرية المعنى Theory of Meaning " حين ميزت بين ما له دلالة ومعنى وبين ما ليس له دلالة أو معنى(١٨).

- وقائع العالم بين رسل وفتجنشتين :

قام فتجنشتين بتقديم التصورات العامة الواردة فى كتابه " الرسالة Tractatus " ، على نحو غير مرتب منطقيا بحيث لا ندرى أى منها يعتمد على الآخر ،وجاء تقديمه هذا على النحو التالى : -

أ - بداية هناك علم الوجود Ontology " الذى يشكل نظرية تعالج المكونات القصوى للعالم. فالعالم عند هذا الفيلسوف لا يتكون من موضوعات فحسب ،بل انه مكون من موضوعات مرتبة ومشكلة فى حقائق ، وأن هذه الحقائق متميزة ومستقلة كل منها عن الأخرى . أما الموضوعات فتعتبر غير كاملة من حيث أنها لاتتواجد الا فى علاقة مع موضوعات أخرى وتشكل مع بعضها البعض حقائق. وهناك " حد Limit لكل

موضوع من حيث امكانية دخوله فى مجموعة أو تشكيلـة ، والمجموعة أوالتشكيلة الممكنة حالة شؤون والحقيقة هى عملية الحصول الفعلى علىحالة. ولم يقم فتجنشتين بتحديد الطبيعة العينية والمشخصة للحقائق ،بل أنه قد لمح فعلا الى أنها قد تكون غير معروفة Unknown بالنسبة لنا ،ولكنه أضاف ملاحظة مفادها أن كافة الحقائق هى نوع واحد ومن نفس المستوى. أما رسل Russell فقد اتخذها بمثابة ظهور لأنواع معينة من الأحداث ،أى كخبرات حسية تتسم بالخصوصية واللحظية . وعلى الرغم من أن فتجنشتين قد توصل وقبل هذه الفكرة فى وقت لاحق على ما يبدو ،الا أنه لم يضمنها فى كتابه " الرسالة " .

وثمة فجوة أخرى فى النظريةوالتى قام " رسل"بتلافيها ، وهى تصنيف الموضوعات التى تتكون منها الحقائق . ونشير هنا الى أن فتجنشتين لم يميزها على شكل أنواع مختلفة ، الا أن " رسل " قسمها الى موضوعات معينة من الموضوعات البسيطة التى - اذا لم تكن سائدة ومسيطرة - تشكل كيانات يشار اليها عن طريق أسماء Names قابلة للتحليل ،ومنها الموضوعات العامة كالصفات Attribates والعلاقات Relations. ويرى " رسل " أن أسماءالموضوعات البسيطةكانت تعتمد فى مهمتها على نفسها ، أما الموضوعات العامة فلا يمكن فهمها الا كدوال قضايا Propositional Functions ،أى بموجب نتف من قضايا على شكل " X "

لهانفس صفة " F " أو " Y " تأخذ وصفا فى العلاقة (Rtoz) .

ب - تأتى المرحلة التالية والحاسمة بظهور نظرية القضايا الأولية وهى قضايا تدين بمعانيها وحقيقتها ليس الى علاقاتها مع قضايا أخرى ،بل الى علاقاتها بالعالم .وتتمثل البديهية الأساسية فى فلسفة فتجنشتين فى أنه يتعين أن تكون هناك مثل هذه القضايا البسيطة الغير قابلة للتحليل اذا ما كان لأية قضايا أن تأخذ معنى محددا وأن لا تقف فى علاقات منطقية داخلية بعضها البعض . ويمكن النظر الى ذلك كنظير شديد التعميم للمبدأ التجريبى التقليدى الذى يقول بأنه اذا كان لأية مفاهيم أو قضايا أن تأخذ معنى ،فانه يتعين أن تستمد أو تشتق بعضها من خبرة العالم ،فالذى يجعل لجملة القدرة على التعبير عن قضية أولية ،يتمثل فى كونها صورة من حالة ممكنة ،أو ترتيب ممكن للموضوعات التى شكلت حقيقتها . والقضية بوصفها ترتيبا لأسماء تصور الحالة كترتيب للموضوعات . واذا كانت الموضوعات التى تسميها القضية مرتبة وفقا لها فان القضية تعد صحيحة . ويجب أن يكون للقضايا والحالات التى تعطى صورة عنها ،شكلا عاما مشتركا ،غير أن هذا نفسه لا يمكن وصفه فى قضايا ،بل يمكن فقط اظهارها (١٩). والأسماء ، مثلها مثل الموضوعات تعد غير كاملة ويمكن تجميعها فقط فى عدد محدود من الطرق. ان قدرتنا على ترتيب الأسماء فى

طرق تكون فيها الموضوعات غير مرتبة ،تفسر اعتقادا زائفا ، كما أن قدرتنا على اعادة ترتيبها تفسر فهمنا للجمل ذات المعنى التى لم يسبق تفسيرها لنا. فاذا كان يتعين علينا أن نفكر أو نتكلم بأى حال من الأحوال ،فانه ينبغى أن تكون هناك قضايا أساسية تدين بمعانيها وحقيقتها الى نظائرها المصورة Pictorial Correspondence للحالات ثم للحقائق على التوالى.
وقد اشتق فتجنشتين من هذا المبدأ أمرين هما :

١ - وجود الحقائق والموضوعات فى نظام دقيق .
٢ - نظريته حول الاجزاء غير الأولية فى اللغة Non - Elementary Parts of Language

جـ - بالنسبة للجمل التى لا تعبر عن قضايا أولية مصورة فهى اما تجمعات صريحة أوتجمعات غير معلنة من القضايا الأولية ، أو أنها جمل لا تعبر عن قضايا قط،وبالتالى فهى بدون معنى. فالجمل التى تعبر عن قضايا مركبة تكون جميعها بمثابة وظائف للحقيقة ضمن القضايا الأولية ،وهى متولدة منها عن طريق عمليات الرفض والتوحيد والضم وتدين بمعانيها وبقيمتها الحقيقية بالكامل الى معنى وقيمة مكوناتها الأولية. وأذا أريد الجزم بقضية مركبة فما علينا الا أن نقوم بصورة متساوقة ومشتركة بتأكيد أو رفض مجموعة من القضايا الأولية . فليس هناك شئ يمكن اضافته لتأكيد المركب أكثر مما يحتويه هذا المركب من عناصر . وبناء على ذلك فان المفاهيم المنطقية لكل من : لا ،"و" ، "اذا" و"جميع" لا تصف أى شئ فى هذا العالم ،ولكنها

مجرد وسائل مصطنعة تركيبية للتأكيد على القضايا الأولية التىتشير الى الحاملات Beares القصوى للمعنى والحقيقة . ويعد وصف فتجنشتين للقضايا المركبة واردا فى النظرية الرسمية البحتة عن " التحليل الارتدادى" Reductive Analysis " والتى انطلق منها لوضع برنامج للحركة ككل .

وهكذا فان الفلسفة التى ينظر اليها على أنهاتحليل للقضايا تصير بحثا Search " عنترجمات لعدة أنواع من الجمل الى قضايا أولية واضحة وموظفة لصالح الحقيقة (٢٠) . أو بعبارة أخرى أصبحت الفلسفة من وجهة نظر فتجنشتين مجردتحليل منطقى للغة ،وليست بحثا فى حقيقة الوجود أو طبيعة المعرفة على نحو ما ذهب اليه أتباع الفلسفة التقليدية (٢١).

(٢) نظرية صورة المعنى

The Picture Theory of Meaning

يذهب فتجنشتين الى أن الفلسفة هي علم المعانى ،ومسائلها هى بالدرجة الأولى مسائل لغوية ، بمعنى أنها تنحل بتحليل العبارات التى تعبر عنها ، لكننا لا نستهدف أن يكون البحث اللغوى هنا من قبيل النحو أو الصرف أو طريقة النطق أو البلاغة وما الى ذلك ، بل ينصب اهتمامنا على منطق اللغة من حيث هى أداة ترسم لنا طرائق السلوك ازاء العالم الذى نعيش فيه (٢٢).

وتتمثل النقطة الأساسية فى نظرية فتجنشتين المتعلقة بالمعنى فى أن معنى كلمة ما ليس هو نوع من الموضوعات التى تقابلها هذه الكلمة. وبالتأكيد فان أحد ملامح أو جوانب المعنى لبعض الكلمات يمثل أو يقابل أشياء بعينها غير أن هذه الكلمات ، وهى أسماء أعلام " Proper ،تشكل جزءا صغيرا ومتخصصا من اللغة ككل كما أنه لا يمثلها تمثيلا كاملا. وحتى فى حالة هذه الأسماء بالذات فان الموضوع الذى تمثله أو تقابله لا يشكل معناها الذى هو - بالتأكيد - قدرة هذه الأسماء المعروفة تقليديا على تمثيلها أو مقابلتها للموضوعات ويعتقد فتجنشتين بأن لدينا انطباعا مفرطا فى تأثيره بنموذج التعريف الظاهرى وبالعلاقة المتبادلة والمباشرة بين الكلمات والعناصر التى يتكون منها العالم ،وبأمر آخر يؤكد ما سبق وهو فكرة الاشارة الى موضوع كما لو كان يفسر نفسه بنفسه بطريقة ما من حيث طريقة اعطاء معنى الكلمة المنطوقة فى لحظة عملية الاشارة.

على أن التعريف الظاهرى لا يشكل الا استعمالا واحدا فحسب من عملية الاشارة الى الأشياء التى يمكن استعمالها لاصدار أوامر أكثر منها لتقديم أو استحداث كلمات جديدة. وبعبارة أخرى فانه قبل أن يكون من الممكن لعملية الاشارة أن تعطى معنى لكلمة ، فيجب أن تكون هذه الكلمة نفسها مفهومة وأن يكون لها معنى .

ان السؤال القائل : ما هو معنى كلمة ما ؟ يمثل فى الواقع سؤالا فلسفيا نمطيا Typically ، فهو يستدعى طرح تساؤل لا نعرف كيف نوجهه . وفى سبيل أن نعرف ما هو المعنى فعلينا أن نتفحص الأسئلة التى تثار حول المعنى من خارج المناقشات الفلسفية مثل : كيف يمكن تعلم أو تفسير معنى كلمة ما ؟ وكيف يمكننا أن نعرف بأن شخصا ما يفهم معنى كلمة ما ؟ فاذا عالجنا السؤال بهذه الطريقة ، أى عن طريق دراسة الأحوال المألوفة والشائعة التى تظهر فيها كلمة " معنى " ، فسوف نجد أننا بحديثنا عن معنى كلمة يرادف حديثنا عن الطريقة التى تستعمل فيها هذه الكلمة . واذا قلنا بأن شخصا قد تعلم أو أنه يفهم معنى كلمة ما فكأننا نقول انه قد تعلم أو أنه يفهم كيف نستعمل هذه الكلمة ، وأن هذا الشخص قد أصبح طرفا لاصطلاح اجتماعى قائم ومحدد. ان تحديد المعنى بالطريقة التى تستعمل فيها الكلمة يعد أمرا غامضا ولكنه أمر لا مناص منه فى ذات الوقت ، لأن الكلمات انما تستعمل بطرق كثيرة ومختلفة ولها أنواع كثيرة ومتنوعة من المعنى (٢٣).

- نظرية اللغة فى كتاب الرسالة

The Theory of Language in the Tractatus

تركز فكرة فتجنشتين عن اللغة ،وهى الفكرة التى استخدمها فى اعداد كتابه الأول " الرسالة " Tractatus "،على الطريقة التى يمكن استعمال اللغة فيها لاعطاء صورة عن العالم.وتتمثل فكرة الكتاب عن اللغة بأنها سلسلة من القضايا التى تسعى الى بيان وقائع ،وأن القضايا كانت ستعد صحيحة عندما تبين أو تصور أو تناظر بصورة سليمة ما تبينه وتصوره وتناظره الوقائع ، كما ستعد هذه القضايا زائفة وغير صحيحة اذا فشلت فىتحقيق هذه المهمة. ولتطبيق مثل هذا الأسلوب ،فان الأمريتطلب اتخاذ القضيةكوحدة Unit أساسية فى اللغة. والقضية " Proposition " هى مجموعة من الكلمات التى تؤكد شيئا ما،وقد فهمت على أنها تتكون بصورة جوهرية من"الأسماء " Names " ،وأن هذه الأسماء تتكون من انطوائها علىاشارة لموضوعات Objects مختلفة . أما الطريقة التى ترتبط بها الموضوعات بعضها بعضا فى القضية - اذا ماكانت القضية بكاملها صحيحة فتكون مناظرة أو مصورة للطريقة التى ترتبط بها الموضوعات بعضها بعضا فى هذا العالم. ويمكن توضيح هذا الأسلوب فى التفكير بهذا النموذج التقريبىالذى نقدمه فى هذه الجملة: " القطة على الحصيرة The Cat is on the Mat حيث أنتعبير" القطة " يشير الى موضوع معين وكذلكالحال بالنسبة لتعبير" الحصيرة " فى حين أنالكلمات الموجودة ، بالاضافة الى

كلمة " على On " التى يمكن أن تؤخذ على أنها تشير الى علاقة مكانية معروفة ومحددة بين الموضوعين السابق ذكرهما أى القطة والحصيرة "(٢٤). فاذا كانت القطة والحصيرة والعلاقة المكانية المحددة بينهما اعتبرت موجودة فى هذا العالم على النحو الذى تؤكده هذه القضية، فان القضية فى هذه الحالة تعد مصورة بشكل صحيح للحالة الفعلية التى عليها الأمر، وبالتالى فهى صحيحة، والا فانها تعد غير صحيحة أو زائفة. وباختصار فان هذه الطريقة فى معالجة اللغة تتناول القضايا كما لو أنها مكونة من أسماء، ومن ثم فان العالم يصبح كأنه مكون من موضوعات تشير اليها الأسماء، أو بعبارة أخرى كما لو أنه مكون من موضوعات محددة بأسماء، وبالوظيفة الرئيسية لحروف الجر كما لو كانت مادة مخصصة لاعطاء وصف عن الوقائع. وفى هذا الصدد يقول فتجنشتين فى كتابه " الرسالة Tractatus " : " ان الكلمات المفردة فى اللغة تسمى لنا الموضوعات - والجمل هى مجموعة مترابطة من هذه الأسماء ... ولكل كلمة معنى، وهذا المعنى مرتبط بالكلمة التى تمثل الموضوع الذى تجسده الكلمة "(٢٥)

وتعرف هذه النظرية فى اللغة باسم " نظرية صورة المعنى " وبهذا يكون فتجنشتين هو الذى وضع هذا المفهوم وهذا الأسلوب فى اللغة، وهو أيضا الذى انطلق فى أعماله التى كتبها فى أواخر سنين حياته للتدليل على عدم صحتها ومن ثم لاستبدالها .

لقد ذهب رواد الوضعية المنطقية الى أبعد مما ذهب اليه رسل Russell من حيث أنهم أدخلوا تعديلات على المذهب الذى

يحتوى عليه كتاب "الرسالة Tractatus " على الرغم من تناولهم أجزائه الرئيسية بتصميم أكبر من تناول رسل نفسه . فقد تبنوا وطوروا الى حد كبير الفكرة القائلة بأن كافة القضايا الهامة عن المادة أو المحتوى المادى يمكن تبسيطها الى قضايا أولية أو أساسية ،وهو ما يؤيد النظرية التى تنادى بأن المنطق والرياضيات قابلان للتحليل،مع طرح التعبيرات الدينية والأخلاقية جانبا بحجة أنها بدون معنى وأنها تتسم بالميتافيزيقا على أن هؤلاء الفلاسفة لم يقبلوا بالاستنتاجات المتعلقة بمبحث الوجود Ontological " التى استخلصها كل من رسل وفتجنشتين من نظرية المعنى عندهم . وعلاوة على ذلك فقد أصروا على عدم وجود علاقة طبيعية للتشابه بين القضايا والحقائق سواء كانت مصورة أو تركيبية Structural "، بل كان من رأيهم أن العلاقة بينهما مجرد علاقة اصطلاحية Conventional فحسب وعلى الرغم من موافقتهم " رسل" على أن القضايا الأولية ما هى الا تقارير Reports عن خبرة فورية ، الا أنهم صاغوا شرطا يقول بأن كافة التأكيدات الهامة ينبغى أن تكون، أو ينبغى تبسيطها الى تقارير عن الخبرة فى اطار مبدأ قابليتها للتحقق Verifiability " . وبينوا بذلك أن الجملة تعبر عن قضية ذات معنى فقط عندما تكون حقيقتها أو زيفها قابل للتحقق بالرجوع الى التجربة (٢٦).

(٣) ألعاب اللغة Language Games

يعرض فتجنشتين فى كتابه " تحقيقات فلسفية

Philosophical Investigations طريقة مختلفة تماما من طرق التفكير حول طبيعة لغة الانسان،كما عرض فيه طريقة جديـــــدة لـ" انتاج" أو " عمل " الفلسفة To Do Philosophy ودعنا أولا نضع هذا" المنظور" Perspective" الجديد للغة فى صفتـــه السالبة أو المنفية. لقد توصل فتجنشتين الى قناعة مؤداهـــا أن التفكير باللغة وكأنها مؤلفة أساسا من أسماء ومن معانـــى تتصل أو تتعلق بالموضوعات التى تحددها هذه الأسماء هى بمثابة فشل أو قصور فى اصدار حكم عادل على المرونة التى تتمتع بهـــا اللغة وعلى تنوع استعمالاتها.وتبين له أن الأسلوب الذى اتبعه فى السابق لم يعط الا اطارا محدودا جدا يستطيع من خلاله حصـــر واستعمال كافة استخدامات اللغة. فاذا فكر فى القضايا على أنها مجموعات مترابطة من الأسماء التى تتجلى وظيفتها الرئيسية فـــى تصوير الحقائق ، فانه سيكون قد أغفل بالضرورة أن استعمـــال اللغة لوصف الأحوال التى عليها الأمور هو استعمال واحد فحسب من بين الاستعمالات الكثيرة والمتنوعة من استعمالات اللغة، كما أن هذا الاستعمال بدون أدنى شك ليس الاستعمال الوحيد أو الرئيسى للغة. فهناك بطبيعة الحال أسماء فى اللغة،ونحن نقوم فـــى أحيان كثيرة باستعمال اللغة لبيان حقائق،ولكن التفكير بالأسماء على أنها قوالب " البناء الوحيدة فى اللغـــة Blocks ، وفى الجمل Sentences على أنها مجرد وسائل لتصوير الحقائـــق يشكل ببساطة طريقة خاطئة فى محاولة فهم ما اللغة.

- الاستعمالات المتنوعة للغة :

بيد أن ثمة عبارة أو " شعار Slogan " تلخص لنا بطريقة ايجابية توجه Orientation فتجنشتين اللغوى الجديد . يقول فتجنشتين : " لا تبحث عن المعنى ،بل ابحث عن الاستعمال ! "Don't Look For The Meaning, Look For The Use" (٢٧)

ويجب فهم كلمة " المعنى" هنا بنفس الطريقة التى اتبعها فكر فتجنشتين المبكر، أى بأن الأسماء لها معنى ،وأن معنى هذه الأسماء كامن فى الموضوعات التى يحددها أو يشير اليها.وأصبح فتجنشتين يرفض هذا التصور حول المعنى، اذ أنه اقتنع بأن استعمالات اللغة وكذلك الأهداف التى تسعى اليها والمواقف الحياتية التى تشكل البيئة أو الاطار لهذه الاستعمالات هى استعمالات غنية ومتنوعة الى حد بعيد. وهنا يطالبنا فتجنشتين بالتأمل فى كافة الاستعمالات المتنوعة للغة .

ووفقا للفكر الجديد لدى فتجنشتين فانه بدلا من تناول القضية على أنها مجموعة مؤلفة من الأسماء وعلى أنها "الوحدة الأساسية الخاضعة للتحليل وعلى أنها تتمتع " ببنية Item " منطقية ثابتة ،فقد صار يؤكد على ما أسماه Structure " " لعبة اللغة " . ولكى نفهم ما يقصده بذلك، دعنا نفكر فى أحد المواقف النموذجية فى الحياة ، فنجد أن " لعبة اللغة" المحددة سوف توصلنا الى الاستعمال المميز للغة فى هذا الموقف فلعبة اللغة تمثل نموذجا مبسطا ومثالا واضحا لاستعمال مميز

ومحدد للغة . ومن احدى جوانبها يمكن التفكير بلعبة اللغة كوسيلة لعملية التحليل . وهي تساعدنا على الوصول الى تفهم أعمق للغة على النحو الذى نجدها عليه . ومن جانب آخر من جوانب التفكير فى المسألة ، يمكننا القول بأن اللغة ،بوصفها ظاهرة انسانية كلية ، انما تتكون من عدد كبير جدا من ألعاب اللغة . ونضيف بأن هذه الألعاب ممتزجة أو ملتحمة بعضها بعضا فى شبكة بالغة التعقيد من العلاقات المتبادلة فيما بينها .

على أن القول بأن استعمال اللغة يمكن أن يقارن باحدى اللعبات ، لا يقصد به - بطبيعة الحال - افادة القارئ أو الايحاء له بأن الأمر ينطوى على تسلية أو ترفيه أو تمرين رياضى . ان ما يقصد بالمصطلحات Terminology " هو جعلها قادرة ،بطريقة تشبه تلك الطرق المستعملة عادة فيما نسميه الألعاب (كالشطرنج والبيسبول والبريدج) ،على اظهار أن الكلمات المستعملة فى اللغة تترابط فيما بينها وفقا لقوانين معينة من قواعد اللعبة . وتجدر الاشارة الى أن بعض هذه (القوانين) موضوعة ومطبقة بطريقة صارمة أو واضحة . وتشكل هذه القوانين قواعد Rules " اللغة . فالكلمات والوحدات اللغوية الأخرى المستخدمة فى " ألعاب اللغة Language Games المختلفة يمكن مقارنتها" بقطع Pieces لعبة الشطرنج ،حيث أن لكل قطعة " دورها" فى اللعبة ،كما أن فهمنا لاستعمال كلمة ما يشبه فهمنا لاستعمال قطعة معينة من قطع

لعبة الشطرنج كالملك أوالقلعة أو الفيل ،اذ يتعين علينا أن نفهم ما يمكن عمله بكل قطعة ،أى أن نفهم طريقة عملها (٢٨).

واذا كان فتجنشتين قد أفاض فى الحديث عن اللغة بوصفها " لعبة Game أحيانا، فما ذلك الا أنه قد وجد فى النطق بأية لغة يعد نشاطا معينا أو صورة من صور الحياة .

والواقع أن فتجنشتين كثيرا ما كان يتوقف طويلا عند تشبيه اللغة باللعبة ،لكى يتساءل قائلا : " ماذا عسى أن تكون اللعبة؟ " لو كانت اللغة مجرد عملية نستخدم فيها بعض الأسماء كبطاقات تقوم مقام بعض الموضوعات ،لما صادفتنا صعوبة فى أن نهتدى الى اجابة محددة لهذا التساؤل . ولكننا لو عدنا الى حياتنا العادية، لوجدنا أن كلمة " لعبة " تستعمل على أنحاء عديدة مختلفة ،بحيث قد لانجد" موضوعا" محددا تشير اليه هذه الكلمة ،أو قد لا نعثر علىماهية جوهرية تجمع بين شتىالموضوعات التى نطلق عليها هذا اللفظ (٢٩).

يتمثل أحد استعمالات " ألعاب اللغة " فى توضيح وتعليم القواعد التىتحكم استعمال كلمة ما. ولتحقيق ذلك فان لعبة اللغة لا تتدخل أو تنطوى على التطبيق الفعلى للكلمة ،حيث أن دورها الرئيس هوجعلنا نتعرف علىالقواعد المتعلقة بتعبير ما . وعلى سبيل المثال،فهىتماثل تعلم قوانين لعبة الشطرنج عن طريق تحديد القطع بتحريكها حركات بسيطة على اللوحة. فتعلم قوانين اللعبة - أى معرفة ما هو دور كل قطعة من القطع-

هو بمثابة تعلم" قواعد" قطع لعبة الشطرنج،ولكنه لا يمكن بطبيعة الحال من اللعب بطريقة فعلية أو حقيقية لمباراة مثلا. فبعد أن يتعلم المرء القوانين يستطيع أن يلعب مباراة فعليا. والمرء (أى اللاعب) يكون له منافس أو مقابل يلعب ضده ،كما يقوم بتحريك القطع وفقا للقوانين . أما الحركات – على النحو التى يتم تنفيذها به فى اطار اللعبة الفعلية – فهى تأتى كنتيجة للقرارات التى يتخذها حول تطبيق استراتيجية معينة من أجل أسر Capture " قطع الخصم والفوز بالمباراة . على أن لعب مباراة ينطوى على أكثر من تعلم القوانين من خلال حركات توضيحية بسيطة. فالمسألة تماثل تعلم لغة معينة ومن ثم الانخراط فى " لعب " مباراة حقيقية. أى السعى لتطبيق القوانين أو القواعد فى موقف واقعى فى الحياة. فعلى المرء أولا أن يتعلم كيفية استعمال الكلمة أو " الوحدة اللغوية" . وهذا بحد ذاته يمثل شرطا من شروط استعمال احدى القواعد فى المواقف التى يجرى تطبيق اللغة فيها .

وكما لاحظنا آنفا،فقد اعتقد فتجنشتين أن الأمر يمكن التعبير عنه ببساطة فى أن اطار التفكير باللغات على أنها تتكون من أسماء وأن تكوين الجمل يفيد فى اعطاء أوصاف Descriptions فحسب ،هو اطار ضيق وقاصر الى حد كبير . فهناك كلمات كثيرة لا تعطينا أسماء لأى شئ على الرغم مما لها من استعمالات أصيلة وثابتة. فكلمة " مرحبا Hello " على سبيل المثال التى تستعمل للترحيب والتحية لا تسمى أى شئ باسم

معين . ويجيب فتجنشتين على تساؤل قد يطرحه أحد بقوله :" اننا نسمى الأشياء ثم نستطيع أن نتحدث عنها وأن نشير اليها فى الحديث" ، فيرد عليه على النحو التالى :

" ان كل ما فعلناه حتى الآن هو أننا قمنا بعملية التسمية فحسب، أو كما لو كان هناك شئ واحد فقط يسمى "الحديث عن شئ" وفى الوقت الذى نقوم فيه فى الواقع بعمل معظم الأشياء المتنوعة بواسطة الجمل التى نستخدمها ،فينبغى فى هذا الصدد أن نتأمل الكلمات والألفاظ التى تدل على تعجب وما يسند اليها من وظائف تختلف تماما الاختلاف عما أشرنا اليه مثل : كلمة ماء ! Water وبعيدا ! Away وآه ! Ow والنجدة ! Help وحسنا ! Fine ولا ! No - فهل ترى أنك مازلت تميل الى تسمية مثل هذه الكلمات " أسماء موضوعات Names of Objects " ؟.

ولا يتوقف الأمر عند القول بأنه ليس كافة التعبيرات فى اللغة تعطى أسماء لموضوعات ،بل ان هناك قضية أوضح وأبعد مدى وهى أنه ليست سائر استعمالات اللغة مقصود بها اعطاء أوصاف . ويعبر فتجنشتين عن ذلك بالتساؤلات التالية :

" ولكن كم نوع من الجمل فى اللغة؟ هل هى فقط الاثبات والاستفهام والأمر ؟ . الواقع أن هناك أنواع لا تحصى من الجمل - وأنواع مختلفة لاتحصى من الاستعمالات لما نسميه بالرموز Symbols و"الكلمات Words و"الجمل Sentences ". ونضيف بأن هذه الكثرة ليست شيئا ثابتا يحدث مرة واحدة ثم يختفى ،بل هناك

أنواع جديدة فى اللغة أو " ألعاب لغوية جديدة (كما يمكن أن نسميها) تظهر الى عالم الوجود وأخرى تصبح منقرضة (غير مستعملة) وتدخل الى عالم النسيان (ويمكننا الحصول على صورة تقريبية لهذا الوضع من التغيرات التى تحدث فى الرياضيات) (٣٠).

(٤) طبيعة الجمل The Nature of Sentences

نتساءل الآن : ما المقصود بعبارة " البنية الأساسية Basic Structure للجمل الانجليزية ؟ وهذا ما يمكن تفسيره على النحو التالى : لقد فرق " رسل " بين ما سماه " قضايا ذرية Atomic Propsitions " و "قضايا جزئية"، فالأولى قضايا ليس لها أجزاء ، وهذه الأجزاء هى بحد ذاتها قضايا. وهكذا فان جملة : " جون انسان" تشكل قضية ذرية نظرا لأن أجزاؤها تشكل كلمات مفردة وليست قضايا. ومن ناحية أخرى فان القضية القائلة : بأن " جون وماري ذاهبان الى السينما" هى قضية جزئية ، ذلك لأنه عند تحليلها يمكن أن نراها كقضية مركبة تحتوى على جزئين وكل جزء منهما يشكل قضية ، أى أن " جون ذاهب الى السينما و"ماري ذاهبة الى السينما " هما قضيتان مستقلتان . ويتم بناء القضية الجزئية من اثنين أو أكثر من القضايا الذرية عن طريق ما أسماه " رسل " أدوات الوصل أو الربط مثل "و" ، "أو" و " اذا " .. ثم" . ويمكن اعتبار المنطق الرمزى - جزئيا - بمثابة دراسة لهذه الأدوات بحكم أن القواعد التى تحكم عملية استخدام هذه الأدوات تسمح لنا ببناء

قضايا مركبة من قضايا أبسط منها. وباستخدام الأداة المنطقية الواردة فى كتاب " المبادىء Principia " وضع " رسل " مجموعة من القواعد التى ،لو اتبعت ، فانها تسمح للمرء بأن يبنى قضايا جزئية من قضايا ذرية. وهكذا فقد كان رسل قادرا على تحليل أى قضية جزئية الى مجموعة من القضايا الذرية مضافا اليها أدوات الوصل أو الربط المنطقية . وعلى هذا الأساس فان معنى أى قضية جزئية يمكن،فرضا،أن تحلل عن طريق تحليلها الى القضايا الذرية التى تشكلها. ويبقى السؤال الآن كيف نقوم بتحليل معنى القضية الذرية ؟

تتلخص اجابة " رسل " عن هذا السؤال فى أن القضية الذرية هى تلك التى تتخذ دائما شكلا مكونا من مبتدأ وخبر (أو فعل وفاعل) . فلو قلنا مثلا " جون انسان فان هذه الجملة يمكن تحليلها الى مبتدأ وهو اسم علم (جون) ،والى خبر وهو هنا كلمة (انسان) . ونجد أن المبتدأ فى هذه الحالة يشير دائما الى شىء مُحدد وهو فى هذه الجملة " جون" ، فى حين أن الكلمة الخبرية تشير دائما الى صفة أو " ميزة يملكها أو يتمتع بها المبتدأ وهى فى هذه الحالة ميزته بأنه انسان أو انسانى.

وعند هذه النقطة تتضح التضمنات Inplications الفلسفية للنسق الذى وضعه رسل . وعندما تكون القضية الذرية صحيحة فان كلمة المبتدأ تحدد بشىء معين، فى حين تشير كلمة الخبر الى احدى المزايا أو خواص ذلك الشىء أى المبتدأ . وفى محاولته

لبيان أن القضايا الذرية تشير الى مثل هذه الأشياء ومزاياها فان كتاب " المبادئ Prinicipa " يعطينا معلومات عن العالم الواقعي ، فهو يخبرنا بأن العالم مكون من " وقائع Facts " وأن جميع هذه الوقائع ذات طبيعة ذرية ، أي أنه يمكن وصف كل واقعة منها على أنها قضية ذرية . وليس هناك أية قضايا جزئية في الطبيعة طالما أن كل قضية جزئية قابلة للتحليل الى مجموعة من القضايا الذرية بالاضافة الى أدوات الوصل (الربط) المنطقية مثل "و" ، "أو" و"اذا" ... وثم ... الخ. ولا تشير أدوات الوصل (وسائل الربط) المذكورة بالطبع الى أي شئ في هذا العالم ، بل انها وسائل لغوية تعمل على تمكيننا من ربط القضايا الذرية بطرق متعددة . وهكذا فان استعمال هذه الأدوات - على حد تعبير رسل - هو استعمال "تركيبي " فحسب - يقصد به وضع الكلمات في الجمل Syntcatic . وينبغي التأكيد هنا على عدم وجود وقائع " عامة " في هذا العالم أيضا ، فليس هناك أية واقعة مرادفة الى القضية العامة التي نصها : " جميع الرجال من بني الانسان " حيث أن هذه القضية يمكن تبسيطها وتحليلها مرة أخرى الى مجموعة من القضايا الذرية مثل: " جون انسان " ، " جيمس انسان" ، وهلم جرا حتى نصف كل فرد بصفة انسان . وعلى هذا الأساس فان المكونات الأساسية للعالم هي " وقائع " وأن كل واقعة منها مكونة من شئ مفرد مع خصائصه أو مزاياه الفردية .

اذن فمن خلال دراسة المنطق الرياضي ، فاننا نستطيع أن

نكتشف البناء الأساسى للعالم، أى أننا نستطيع أن نكتشف بأن العالم مؤلف من وقائع ذرية. ومنهنا فان الجواب الذى تعطيه فلسفة الذرية المنطقية لمجموعة الأسئلة التى طرحناها حول ماهية الفلسفة يمكن الآن صياغته على النحو التالى : ان وظيفة الفلسفة هى تزويدنا بمعلومات عن العالم. وعلى وجه الخصوص فان وظيفة الفلسفة هى أنها تخبرنا بأن تركيب العالم ينعكس أو يتمثل فى تركيب القضايا الأساسية الواردة فى كتاب "المبادىء Principa "(٣١).

وهكذا لم يتردد "رسل " فى أن يقيم فلسفته التجريبية على أساس منطق جديد يتلافى به أوجه القصور التى كانت تؤخذ على من سبقوه مثل : لوك وهيوم وأمثالهما، وما هذا الأساس للمنطق الجديد فى صميمه الا أن يجعل " القضايا الأولية " - لا المدركات المفردة - هى الوحدات البسيطة الأولى فى تحليل المعرفة، ولم يكن " رسل " وحده فى هذا الاتجاه، بل سار معه زميله " مور وتلميذه فتجنشتين ثم تبعهم فى ذلك بقية الأتباع.

فالمعرفة الانسانية - عند رسل وفتجنشتين بصفة خاصة - يمكن تحليلها الى ذرات أولية، والذرة الواحدة منها هى قضية أولية ، يكون موضوعها فردا واحدا لا مجموعة من أفراد، وماذا عسى أن يكون الفرد الواحد الذى يصلح أن يكون موضوعا للقضية الذرية؟ أتصلح لذلك كلمة مثل " انسان "و " شجرة" وسائر هذه الكلمات الكلية ؟ اذا قلنا - مثلا - " الانسان كائن عاقل"

كانمثلهذا القول ذرةفكرية بسيطة لا يمكن تحليلها الى ما هو أبسط منها ؟ هكذا ظن أرسطو،وما هكذا يظن " رسل "واتباع مدرسته التحليليةفكلمة " انسان عند ارسطو مدرك أولى بسيط من الناحية المنطقية ،وأما عند "رسل " وأتباعه فهذه الكلمة وحدها - وان بدت كلمة واحدة - الا أنها عبارة بأسرها،ضغطت فيهذه الكلمة الواحدة .

فالمرء لو حل كلمة " انسان "الى أجزائها الأوليةوجدها كلمةتحتوى فى طياتها كل أفراد البشر ،من مضى منهم ومن هم قائمون اليوم ومن سيظهرون فىالوجود الى آخر الدهر (٣٢).

أما بالنسبة لموقف فتجنشتين فى هذا الصدد فان أهم نقطة رئيسية فى مذهبه هى أنهكان ينظر الىالوقائع كما لو كانت شديدة التعقيد وكما لو كانت تشتمل على ما هو أقل منها تعقيدا. وهذه أيضا تشتمل على ما هو أقل تعقيدا وهلم جرا. وفى نهاية المطاف نصل بالضرورة الى وقائع لا تنحل الى ما هو أبسط منها وهى تلكالوقائع التى لا تحتوى على وقائع أقل تعقيدا. وهذه هى ما يمكن تسميته بالوقائع الذرية. وليست هذه الوقائع بسيطة بساطة مطلقة لأنها تتكون من عناصر ولكن هذه العناصر ليست منالوقائع الأكثر بساطة. ومن ثم يمكن القول أن الوقائع الذريةهىالأبنية النهائية لهذا العالم بمعنىأن العالم ينقسم فىالنهاية الى تلكالوقائع. وتلك هى أبسط الأشياء التى تقوم بنفسها والتى يمكنها أن توجدمنعزلة بذاتها .

وقد وصل فتجنشتين الى مذهبه فى الوقائع الذرية عن طريق اللغة . فقد بدأ فتجنشتين عمله فى الفلسفة ابتداء من أصول الرياضيات حقا . ولكنه سرعان ما اكتشف أن تحليل العبارة هو الذى يعطينا صيغة منطقية صحيحة . ولهذا أعطى فتجنشتين قيمة كبيرة لنظرية "رسل" عن الأوصاف وتأثر بها تأثرا كبيرا واضحا.

ومن هنا قد استخدم فتجنشتين فى كتابه المسمى " رسالة منطقية فلسفية" كلمة ألمانية للتعبير عن القضية الأولية. وهذه قد تعنى أحيانا الجملة الأولية . فهناك فارق بين ما نسميه القضية الأولية وما نطلق عليه اسم الجملة الأولية . ومع هذا فلا خلاف اطلاقا بينهما من حيث التعبير اللغوى. ولكى نوضح الفارق بين الجملة والقضية نقول أن القضية هى الأفكار التى يمكن أن تعبر عنها الجملة. فالجملة تؤلف من كلمات وفقا لقواعد التركيب اللغوى. وهى تنتمى الى لغة معينة كما لو لم تكن العبارات مكونة من ألفاظ وكما لو لم تكن تنتمى الى لغة.

تستخدم الجمل من أجل التعبير عما نسميه بالقضية وهى ما لا يطلق بأى من اللغات. لا توجد قضايا من لغة معينة وهى ما يحتمل الصدق أو الكذب. أما الجمل فلا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة. لو قلت مثلا : هل جملة " الدنيا تمطر" الالمانية صادقة أو كاذبة؟ فلن تجد جوابا لذلك . أما اذا شاء أحد الناس أن يصف الجو فى حالة بالذات بقوله" الدنيا تمطر" فقد قال شيئا يحتمل الصدق أو الكذب . وحينئذ نقول أنه قد صاغ قضية تشير

الى وقت ومكان محددين .

وقد كان فتجنشتين شديد الشعور بالفارق الذهنى بين الجملة والقضية . فهو يرفض القول بأن القضية هى المضمون الفكرى أو العقلى المنفصل عن الجملة والمؤدى مع ذلك فيها . على العكس من ذلك تماما يحدد فتجنشتين القضية بأنها هى نفسها الجملة وقد دخلت فى علاقة ما . فالقضية هى هى الجملة ولا شئ أكثر من ذلك (٣٣).

(٥) نظرية الأوصاف The Theory of Descriptions

لم تكن هذه النظرية تمثل الاستعمال الوحيد الذى طبق فيه " رسل " الأسلوب المبين فى كتاب " مبادئ الرياضيات Principia Mathematica " من أجل الوصول الى أغراض فلسفية ، بل انها الى جانب ذلك ولعله على نفس الدرجة من الأهمية - طبقت الأداة الآلية الواردة فى الكتاب من أجل حل مشاكل كانت تشغل بال المفكرين على مدى القرون السابقة - وهى مشاكل تنطوى على نتائج وجودية Ontological هامة . ويمكننا توضيح ذلك عن طريق مناقشة ما سماه " رسل " (بنظرية الأوصاف).

تسعى نظرية الأوصاف الى بيان وتوضيح أن الفلاسفة - من خلال تحليلهم للغة ، قد ضلوا السبيل بفعل المزاعم واسعة النطاق فأصبحوا يعتقدون بأن أنواع الأشياء التى يعدها الانسان العادى

خيالية أوغير موجودة ،هيبصورةما موجودة بالفعل .فالمشكلة التياعتبرها هؤلاء الفلاسفة محيرة هي مشكلة قديمة ،اذ أنها ظهرت حتى عند أفلاطون Plato " . ويمكن التعبير عن هذه المشكلة على النحوالتالي : قد يتراءى أننا قادرون على تكوين جملة ذات معنى وفي بعض الأحيان تبدو بالفعل صادقة عن "أشياء" مثل : ميدوسا Medusa"، وهاملت Hamlet وبلاد اتلانتس الأسطورية - وغيرها. فنحن عندما نقول مثلا : أن هاملت قتل بولونيوس " فان هذه القضية تبدو وكأنها صادقة True ، غير أنه - بعد امعان الفكر - يتبين لنا بأنه ليس ثمة شيء اسمه هاملت . ولكن كيف يمكن لهذه القضية أن تكون صحيحة مالم نكن نتحدث عن شيء موجود بالفعل؟ ومثال آخر: فعندما نقول ان" ميدوسا غير موجودة" أفلا يعني هذا أننا نقول بأنه يوجد شيء اسمه" ميدوسا" وهو شيء لا وجود له . غير أن ذلك يشكل تناقضا واضحا ! . فهل يترتب على ذلك أنه يستحيل علىالمرء أن ينكر وجود أي شيء دون أن يناقض نفسه؟ منالواضح أن شيئا مايشكلالخطأهنا - وهذا هو ما حاول رسل " ازالته أو الحدمنه من خلال الأداة الآلية التي حدد ملامحها في كتابه " مبادىء الرياضيات " .

لقد تعامل " رسل "مع هذا اللغز Puzzle من ثنايا تساؤله أولا : كيف يمكن لجملة" مثل" ملك فرنسا الحالي حكيم" أنتكون ذات معنىعلىالرغم من عدم وجود ملك لفرنسا . لقد كانت الاجابة على هذاالسؤال والتي اعطاهاالفلاسفة الذين

سبقوا " رسل " ومنهم" الكسندر مينونج Alexander Meinong تتمثل فى أنمثلهذه الكيانات Entities كملك فرنســا أو ميدوسا Medusa أوهاملت Hamlet هى أشياء حقيقيــة Real . والواقع أنهذه الأشياء غير موجودة فى عالم الواقــع ولكنها توجدعلى الأقل : فهى توجد فى دنيا الوهـم Shadwy الأمر الذى دفع بالفيلسوف " مينونج" الى وصفها بأنهـــا (موجودة فى عالمغامض Subsist) بدلا منالقول بأنهـا موجودة فحسب ، وكانت فكرته أن هذه الأشياء موجودة بشكل مــا وما الأشياء المعبر عنها بـ ميدوسا وهاملت وملك فرنسا الحالى .. الخ الا عناصر أو مكونات أساسية لهذا العالم ولكنها لا توجـد بنفس الصورة التى يظهر بها شىء آخر مثل : هارولد ويلســون Harold Wilson "وادوارد هيث Edward Heath".وقـد وجد " مينونج" والفلاسفة الذين تأثروا به أنفسهم منقاديـــن لهذه الطريقة الغريبة فى التفكير (والتى أطلق عليها أحيانا اسم المثالية الفلسفية Philosophical Idealism)بفعل الحجة Argunent التى يمكن بيانها كالاتى :

أ — أن عبارة "الملك الحالى لفرنسا" أو ملك فرنسا الحالى" هى المبتدأ فى الجملة التىنصها " ملك فرنسا الحالـــى حكيم " .

ب — وحيث أنجملة " ملك فرنسا" الحالى حكيم لها مدلـــول Significant" فانهيتعين عليها أن تدور حول شــىء — أى أنها يجب أنتدور حول ملك فرنسا الحالى .

جـ - غير أنه مالم يكن ملك فرنسا الحالى موجودا ،فـــان الجملة سوف لا تدو حول شئ ،ومن ثم فانها قد لا تعنـى شيئا على الاطلاق .

د - ولماكانت عبارة " ملك فرنسا الحالى حكيم" لها معنـى أو مدلول ، فمن المحتم أنها تتحدث عن كيان ما- وهـو هنا ملك فرنسا الحالى - ومن هنا فان مثل هذا الكيان يجب أن يكون موجودا(أو موجودا فى عالم غامض أو غيـر منظور Subsist) .

- المنطق الرمزى Symbolic Logic ونظرية الأوصاف :

لقد أوضح رسل ، من خلال الأساليب الفنية التى ضمنهـا منطقه الرمزى ،أن هذه الحجة تقوم على مغالطة Fallacy ".على أنه اذا أريد فهم نقد الفيلسوف " رسل " وبالتالى فهم "نظرية الأوصاف " التى تشكل جزءا من هذا النقد ،فسوف نجد من الضـرورى التمييز بينما سماه " رسل " الشكل القواعدى Grammatical Form للجملة والشكل المنطقى Logic Form " لهـذه الجملة . فقد تتكون الجملة من مبتدأ وخبر (فعل وفاعل) مـن وجهة النظر المتعلقة بقواعد اللغة الانجليزية ،ومع ذلك فانهـا اذا ترجمت الى لغة كتاب " مبادئ الرياضيـات Principia Mathematica فقد تأخذ شكلا مختلفا من الناحية المنطقية . ولنطبق ذلك على جملة " الله موجود" فنجد أن كلمة " اللـه " تشكل مبتدأ من الناحية القواعدية فى حين تمثل كلمة " موجـود"

خبرا. فلو فرضنا أنه طلب منا اعادة صياغة هذه الجملة ووضعها فى شكلها المنطقى السليم، أى أنه اذا طلب منا توضيح القضية التى تقدمها هذه الجملة، فان كلمة " الله " سوف لا تمثل المبتدأ أو (الفاعل) المنطقى كما لا تعد كلمة " موجود" تمثل خبر الجملة من الناحية المنطقية. أى أن كلاهما سوف تكون له وظيفة مختلفة. فقد يكون كل منهما كما سماه رسل - سور القضية Logical Quantifier - أى قد يأخذ أى منهما نفس الوظيفة التى يأخذها - أى ضمير غير محدد مثل " شخص ما " أو " شىء ما" حيث أن هذه الكلمات تستعمل للاشارة بصورة مبهمة الى فئة غير محدودة من الأشياء. ونظرا لأنها تشير الى أشياء غير محددة فهى كلمات تعبر عن عموميات Generality ".وهكذا فانه اذا وضعت جملة " الله موجود" فى شكلها المنطقى السليم فانها سوف تعنى: أن " شيئا ما " وهو" شىء واحد فقط هو قادر وعليم وكريم". وعليه فان الجملة من الناحية المنطقية لا تتشكل من متبدأ وخبر ولكنها تشكل قضية عامة، وهى قضية تختلف اختلافا كليا من حيث التركيب عن الذى تأخذه القضية الذرية " Atomic Proposition

وهنا نجد أن نفس الشىء ينطبق على جملة " ملك فرنسا الحالى حكيم"، حيث أن تركيبها القواعدى يقودنا الى الاعتقاد بأن مجموعة الكلمات " ملك فرنسا الحالى" هى منطقيا مبتدأ، وأن كلمة " حكيم" هى أيضا منطقيا تعنى الخبر وأن هذه الجملة تشكل بالتالى قضية ذرية نظرا لأنها تعبر عن حقيقة من حقائق هذا العالم. غير أن هذه الجملة ليست - من الناحية المنطقية -

على شكل مبتدأ وخبر،حيث أنها اذا حللت وفقا للأساليب الفنية الواردة فى كتاب " مبادىء الرياضيات" فانها سوفتسفر عن القضايا التالية :

أ – هناك شيء ما قائم كملك فى فرنسا .

ب – لا يوجد أكثر من شيء واحد يقوم حاليا كملك فى فرنسا .

ج – أيا كان ملك فرنسا حاليا فانه حكيم".

وينبغى ملاحظة أن أيا من هذه القضايا الثلاثة التى تؤلف جميعا معنى جملة " ملك فرنسا الحالى حكيم" هى قضية عامة وليست قضية ذرية (٣٤). ويتضح ذلك من عدم وجود اسم علم فى أى منها. حيث أن الكلمات المستعملة فيها هى كلمات عامة مثل " شيء ما " و"أى كان "... الخ. فعبارة " ملك فرنسا الحالى" الواردة فى جملة " ملك فرنسا الحالى حكيم" ليست من الناحية المنطقية بمثابة مبتدأ للقضية على الاطلاق لأنه – عندما نجرى عليه التحليل– تتلاشى هذه العبارة من القضية المحللة. ونجد بدلا منها قضايا لا تحتوى على أسماء أعلام مطلقا بل ضمائر غير محددة متبوعة بخبر . ومن هنا فان عبارة أو مجموعة كلمات "ملك فرنسا الحالى" ليست من الناحية المنطقية اسم علم على الرغم من أنها من الناحية القواعدية تتمتع بنفس وظيفة اسم العلم. وقد حاول " رسل " أن يبرهن على صحة أفكار " مينونج " لو استنتج بأنه لو كانت هذه العبارة اسم علم لأشارت الى " شيء ما " ولكان بالتالى على حق فى استنتاج أن " ملك فرنسا الحالى" يوجد فى عالم غامض Subsists . غير أن التحليل

الىمصطلحات منطقية يوضح أن الشكل القواعدى للجملة هو شكل مضلل من حيث اعطائنا الشكل الحقيقى للقضية ، لأنه - عندما يحلل - يتحول الى مجموعة من القضايا العامة . ونشير هنا الى أن القضايا العامة لا تشير الى أى شئ بصورة مباشرة فىهذا العالم ،لأن القضايا الذرية فقط هى التى تمثل الحقائق. وقد أخطأ "مينونج" عندما استخلص بأن عبارة " ملك فرنسا الحالى" كانت اسم علم لأنها كانت تؤدى وظيفة المبتدأ فى الجملة حسب قواعد اللغة . ومن خلال محاولة "رسل" اثبات أن جملة " ملك فرنسا الحالى حكيم" تمثل من الناحية المنطقية ،قضية عامة وليست قضية ذرية ، فانه كان يثبت فى الوقت نفسه أن مثل هذه العبارة لا تحدد مباشرة أى شئ فى هذا العالم. فالمبتدأ الوارد فىالقضايا الذرية فقط هو القادر على الاشارة أوالتحديد بصورة مباشرة .

وقد أطلق " رسل " على التعبيرات مثل " ملك فرنساالحالى" "اسم العباراتالوضعية المحددة Definite descriptive Phrases ،وهذه العبارات - فى رأيه - محددة لأنها تفيد ضمنا أن شخصا - شخصا واحدا فقط - مستوفيا للوصف - وهى وظيفة كلمة الـ The . وكانت وجهة نظر " رسل " القائلة بأن العباراتالوصفية ليست من الناحية المنطقية أسماء أعلام Proper Names " قابلة لأنتوضع بطريقة أخرى ،فهو نفسه قد قالعنها فى موضع آخر من كتاباته بأنها" رموز ناقصة Incomplete Symbols " أكثر منها أسماء أعلام ،وقال

بأن هذه العبارات تعد " ناقصة " لأنها - بحد ذاتها - ليس لها معنى ، فهى تعمل عمل الأقواس فى الجملة وهذه الأقواس ليس لها أى معنى اذا أخذت وحدها . على أنه يمكن للعبارات الوصفية المحددة أن تأخذ معنى فى سياق جملة كاملة تحتوى عليها. وعليه ، فلو سأل أحد الناس : ما الذى تعنيه عبارة " ملك فرنسا الحالى"؟ فان الاجابة السليمة والمناسبة فى رأى " رسل " ستكون : انها لا تعنى شيئا على الاطلاق . اذ قرأت أو أخذت لوحدها. ويرجع السبب فى ذلك الى أن أسماء العلم هى وحدها التى لها معنى مستقلا عن الجملة الكاملة ،حيث أن اسم العلم يعنى الشىء الذى يستعمل للدلالة عليه . (فمثلا ،اسم يوليوس قيصر يعنى ذلك الشىء الذى هو يوليوس قيصر). ولما كان من الممكن توضيح عبارة " ملك فرنسا الحالى " عن طريق تحليلها (وفقا للمنهج سالف الذكر) الى ما يقابلها فى لغة كتاب " مبادىء الرياضيات" والتى تؤكد انها ليست اسم علم وأنها بدون معنى اذا أخذت لوحدها - أى أنها لا تشير بحد ذاتها وبصورة مباشرة الى أى شىء فى هذا العالم. على أن الجمل المشتملة على مثل هذه العبارة قد تأخذ معنى. ومن هنا فان جملة " ملك فرنسا الحالى حكيم" تعنى نفس الشىء الذى تعنيه جملة مثل " شىء واحد - وواحد فقط - هو الملك الحالى لفرنسا وأن هذا الشىء حكيم". وبهذه الطريقة ،أى من خلال فكرة الرموز الناقصة" استطاع "رسل" أن يجد حلا لما كان يحير الفيلسوف " مينونج " وذلك فيما يتعلق بكيف يمكن لجملة مثل " ملك فرنسا الحالى حكيم" أن تأخذ مدلولا على الرغم من أن عبارة " ملك فرنسا الحالى" لا تشير

أو تحدد أى شئ بطريقة مباشرة (٣٥).

على أن كتاب " مبادئ الرياضيات" هذا وان يكن قد ألقى الضوء الشديد على طبيعة المنطق والرياضة معا،فسرعان ما تبين علماء المنطق وعلماء الرياضة مواضع القصور فيه ،وهموا باصلاحها،ومن أهم من تصدى لذلك تلميذ "رسل " هو فتجنشتين الذى أدرك فى تحليلات استاذه أنها مبتورة الصلة بالخبرة الواقعية ،كأنما رموز الصورية فى واد ، والخبرة الفعلية فى واد آخر ،فأراد أن يصل الطرفين برابطة توضح قيمة المنطق من الناحية التطبيقية دون أن تنتقص من صدق قضاياه صدقا غير مشروط بالحالات الجزئية الواقعة فى لحظات الزمان ونقاط المكان فاقتضاه هذا أن يبحث فى طبيعة القضايا بصفة عامة وطبيعة المنطق بصفة خاصة ،وعرض نتائج بحثه هذا فى رسالته المعروفة باسم " رسالة منطقية فلسفية " ، والتى كان من أهم النتائج التى عرضتها تتمثل فى نقدها للعبارات الميتافيزيقية ، اذ بينت أن أمثال هذه العبارات ان هى الا نتيجة لخطأ فى فهم منطق اللغة ،فكان هذا الرأى بمثابة الحافز المباشر لتكوين جماعة فلسفية فى فيينا ،فجاء تكوينها فاتحة لمرحلة جديدة فى الفلسفة التحليلية المعاصرة ،هى التى عرفت فلسفتها أول ما عرفت باسم " الوضعية المنطقية "(٣٦).

- الذرية المنطقية Logical Atomism

تتمثل الافتراضات Assumptions التى تقوم عليها

" نظرية الأوصاف " بالافتراضات المتعلقة بفكرة الذرية المنطقية وقد افترض " رسل" أن كتاب " مبادىء الرياضة يوفر لنا مسودة Sketch " للغة تامة (متقنة بصورة كاملة - أو تامة الاتقان الى حد الكمال) ،وأن هذه اللغة تامة لأنها تعكس (كالمرآه) بنية العالم الواقعى Actual). فعندما نقوم بترجمة جملة مكتوبة باللغة الانجليزية العادية الى هذه اللغة المنطقية التامة ،فان معنى هذه الجملة يصبح واضحا. فاذا ما تبين عند اجراء الترجمة بأنها لا تأخذ شكل المبتدأ والخبر فان ما يعد مبتدأ فيها حسب القواعد اللغوية سوف لا يشير أو يحدد أى شىء بصورة مباشرة ،نظرا لأن " اللغة التامة " تفترض بأن كل كلمة تمثل مبتدأ هى كلمة تحدد أو تعكس شيئا واقعيا فى هذا العالم ،كما أن كل كلمة تمثل خبرا هى كلمة تحدد أوتعكس احدى الخواص الواقعية لذلك الشىء .

لقد وصلت نظرية الذرية المنطقية الى أعلى مراحلها من حيث البيان الكامل والدقيق لأفكارها عندما تم نشر كتاب ملىء بالألغاز من تأليف أحد عباقرة الفلسفة المعروفين وهو فتجنشتين . ففى كتابه "الرسالة الفلسفية المنطقية" الذى نشر فى عام ١٩٢٢.وضع فتجنشتين صيغة لفكرة الذرية المنطقية تعرف اليوم باسم : نظرية الصورة The Picture Theory .
وطبقا لفتجنشتين فان اللغة المثالية أى " المبادىء" تصور أو تعكس صورة العالم تماما كما تعكسه (أو تصوره) احدى الخرائط فاذا أردنا أن نعرف مثلا اذا كانت مدينة (أ) تقع الى الشمال

أو الى الجنوب من مدينة (ب) فى اسكتلندا ،فاننا نستطيع أن نعرف ذلك بالرجوع على الخريطة ،ذلك لأن الخريطة تصور أو تعكس بشكل ما - تضاريس الأرض ،وهى تصور الأرض أو التضاريس نظرا لوجود تطابق أوتماثل فى التركيب بين النقاط على الخريطة والنقاط على الأرض . وهكذا فان اللغة التامة تماثل الخريطة ، فهى تصور بنية الحقيقة . فكل اسم علم فى اللغة يقابل كيان أو شئ معين كما أن كل خبر (فى جملة) يقابله خاصية أو ميزه .وعليه فان اللغة المثالية هى التى تعطينا بنية الحقائق، لأن الحقائق مؤلفه من أشياء وخواص هذه الأشياء .

ويمكننا تلخيص الثوابت Tenets الرئيسية فى نظرية الذرية المنطقية على النحو التالى :

ان الفلسفة نشاط أصيل مثلها فى ذلك مثل العلم. ومع ذلك فان الفلسفة تختلف عن العلم لأنها لا تكتشف وقائع جديدة ،كما أن ما نحصل عليه من معرفة عن طريق دراسة الفلسفة ليست معرفة متعلقة بوقائع جديدة. وبدلا من ذلك فان الفلسفة تعطينا معلومات عن بنية هذا العالم -وعن كيفية تركيب عناصره ومحتوياته الأساسية .

وبصورة عامة فان الفلسفة تفيد بأن العالم مؤلف من مجموعة من الوقائع الذرية - أى من أشياء وخواصها .

ان الوظيفة المميزة للفلسفة هى التحليل - ويشتمل التحليل

على اعادة كتابة الجمل المأخوذة من اللغة الطبيعية بطريقة تجعل تلك الجمل قادرة على عرض شكلها المنطقى الصحيح وعندما يتم وضع هذه الجمل فى شكلها المنطقى فان معناها يصبح واضحا، كما تزول الحيرة الفلسفية التى تكتنفها .

يتضح لنا من الملاحظات السابقة أن فلسفة الذرية المنطقية ما هى الا نسق ميتافيزيقى بالمعنى التقليدى للميتافيزيقا، وهى تبرهن على أن الفلسفة تمثل نشاطا يعطينا معرفة عن العالم ، ولكنها معرفة لا تنتمى بالتأكيد الى نفس نوع المعرفة التى يعطينا اياها العلم، غير أنها - فى كل الأحوال - معرفة .

وقد ازدهرت فلسفة الذرية المنطقية وبخاصة فى انجلترا فى العقدين أو الثلاثة عقود الأولى من هذا القرن، الا أن شعبيتها تعرضت للأفول بصورة مطردة منذ ذلك الوقت . ومن الأسباب الرئيسية التى أدت الى اضمحلال ظهور ما يعرف باسم الفلسفة الوضعية المنطقية، التى تشكل نوعا آخر من الفلسفة الذى تأثر بتطور المنطق الرياضى . ولكن هذا المذهب استخدم المنطق الرياضى ليوضح أن الميتافيزيقيا أمر لا معنى له ، وحيث أن فلسفة الذرية المنطقية كانت تمثل بوضوح شكلا من أشكال الميتافيزيقا التقليدية فقد عارضها ورفضها المفكرون الذين تقبلوا الفكرة الجديدة (٣٧).

ثالثا - تعقيب ومناقشة

تناولنا فى هذا البحث معالجة موضوع الفلسفة اللغوية عند لودفيج فتجنشتين من خلال استعراض جوانب حياته الفكرية وأهم مؤلفاته التى تصور موقفه من اللغة .

وقد قمنا بتحليل المؤثرات التى شكلت فلسفته اللغوية من حيث ابراز دور كل من رسل وفريجه ومحاولتهما اعطاء تحليل منسق وواضح للأنماط الأساسية فى تحديد العلاقة بين اللغة والعالم ،مما أثار اهتمام فتجنشتين الى أبعد الحدود .

حاول فتجنشتين أن يعرف كلا من الفلسفة والمنطق بوصفهما تحليلا للغة . وبالتالى رأى أن مشاكل الفلسة تتسم بأنها تراكيب لغوية .ويمكن تحويل المنطق الى علم شبيه بالرياضيات أو بالفيزياء اذا أقصيناه عن دائرة التأمل الفلسفى. ولذلك قال يكفينا أن نتوقف عن الكلام عما لا نعرفه . وعلينا أن نلوذ بالصمت اذا لم نستطع الكلام .

تركزت فكرة فتجنشتين عن اللغة ،وهى الفكرة التى استخدمها فى اعداد كتابه الأول " الرسالة " على الطريقة التى يمكن استعمال اللغة فيها لاعطاء صورة عن العالم. وتتمثل فكرة الكتاب عن اللغة فى أنها سلسلة من القضايا تسعى الى التعبير عن وقائع العالم .

ولعل هذا ما جعل رسل يذهب الى القول بأن المبدأ الأساسى فى فلسفة " الرسالة " لفتجنشتين هو أن القضية تعبيرا عن الوقائع التى تصورها، فالخريطة تنقل الينا بوضوح نبأ (عن الواقع) صحيحا أو غير صحيح . فاذا كان النبأ صحيحا، فان هذا انما يرجع الى أن هناك تشابها فى البناء بين الخريطة والمنطقة التى تعنى بتصويرها. وقد كان فتجنشتين يرى أن الشىء نفسه يصدق على الجملة التى تحكى عن الواقع (٣٨).

ومن هنا جاءت محاولة فتجنشتين لتقديم نظرية عامة فى بيان صلة اللغة بالعالم. ولما كان فتجنشتين قد ذهب الى أن المهمة الأولى للغة هى تقرير للوقائع ،فليس بدعا أن نراه يفترض وجود ضرب من التقابل الجوهرى بين " بناء الجملة " وبناء الواقعة " ، وكأن ثمة عقلا تنعكس صورته بالضرورة على الأنماط الأصلية للقول المنطقى . ومعنى هذا أننا اذا توصلنا الى فهم تركيب أية لغة فهما علميا صحيحا، فقد أصبح فى وسعنا أن نحدد بطريقة عامة البناء الانطولوجى للواقع الموضوعى نفسه . وعلى ذلك ،فاننا حتى اذا قلنا بأن كل مهمة المنطق الصورى هى أنه يزودنا بالقواعد اللازمة للانتقال منطقيا من أية عبارة الى أخرى،فان هذا لن يمنعنا من القول بأنه قد يكون فى وسع الفلسفة التحليلية للغة والمنطق أن يساعدانا على الاهتداء الى السمات الفلسفية الحقيقية التى تصف عالم الواقع (٣٩).

ولن يتسنى للفلسفة أن ترى العالم على الوجه الصحيح، اللهم حين يكون قد قدر للفلاسفة أن يدركوا أن كل مهمتهم

هى تحليل " المقال المنطقى " الذى نصطنعه فى وصف العالم الخارجى. وبهذا المعنى تكون كل مهمة الفلسفة هى القضاء على الفلسفة ، أو هى - على الأقل - التخلى عن كل فلسفة ! (٤٠).

لقد طرأ تحول على موقف لتجنشتين اقترن بظهور كتاب " تحقيقات فلسفية " الذى يعد حدثا فلسفيا هاما فاجأ الكثير من المشتغلين بالدراسات الفلسفية فى انجلترا. صحيح أن فتجنشتين قد بقى على رأيه فى ضرورة الاهتمام بدراسة علاقة اللغة بالعالم ، كما أنه قد ظل متمسكا بفكرته الأصلية باستحالة الفلسفة ، ولكن من المؤكد أنه قد تخلى نهائيا عن رأيه السابق فى أن المهمة الأولى للغة هى تقرير الوقائع .

والواقع أن فتجنشتين قد قدم لنا فى كتابه " تحقيقات فلسفية " ثلاث اضافات رئيسية هى :

١ - وضع بين أيدينا نظرية جديدة فى المعنى هى على النقيض تماما من تلك النظرية الذرية المنطقية التى كان قد دافع عنها فى كتاب " الرسالة " وهى النظرية التى تبحث عن معنى اللفظة فى استعمالها ، وفى المظاهر العامة للاتصال بين القائمين على استعمالها ، وليس فى أية موضوعات قد يظن أنها تشير اليها أو تصورها ، سواء أكانت تلك الموضوعات فى العالم الخارجى أم داخل أذهاننا .

٢ - قدم لنا نظرية خاصة فى طبيعة الفلسفة تتسم بطابع سلبى ، لأنها تحرص على هدم الميتافيزيقا ، أو الفلسفة بمعناها

التقليدى،عن طريق الكشف عما فى أقوال الميتافيزيقيين من مظاهر لبس وغموض ومفارقة ،مع الاهتمام ببيان تناقضها مع المعتقدات العادية التى يمدنا بها الذوق الفطرى أو ألحس المشترك ،والتى نعلم تمام العلم أنها صادقة .

٣ - وضع بين أيدينا نظرية سيكولوجية فى طبيعة الذهن تشبه من بعض الوجوه نظريات السلوكيين ، لأنها تفسر وصفنا للحالات النفسية والظواهر العقلية ، لا على أنه عود الى شئ داخلى باطنى فى صميم مجرى شعورنا ،بل على أنه نشاط تتحكم فيه بعض المعايير الخاصة ،مثل الاحالة الى ظروف الأشخاص الموصوفين،وسلوكهم ،ودوافع نشاطهم ...... الخ (٤١).

يضاف الى ذلك أن فتجنشتين قد أدخل،فى معرض تقديمه لآرائه ،تشبيه " الألعاب اللغوية" الذى يعنى بها أن الاستخدام الفعلى لجزء معين من اللغة هو أشبه بلعبة ،كالشطرنج مثلا.ولهذه اللعبة قواعد معينة ينبغى على كل من يمارسونها أن يراعوها ، كما أن هناك قيودا معينة على الحركات المسموح بها . ويرفض فتجنشتين عالمه المنطقى السابق كما عرضه فى " الرسالة "رفضا تاما . فقد بدا له عندئذ أنه من الممكن تحليل جميع القضايا الى مكونات نهائية بسيطة لا تقبل مزيدا من التجزئ. ومن ثم كان يطلق على هذه النظرية أيحانا اسم" الذرية المنطقية "،وهى تشترك فى الكثير مع نظريات أسبق منها عن المكونات النهائية البسيطة التى قال بها العقلانيون . وهذه الفكرة هى أساس جميع محاولات وضع لغة كاملة تعبر عن كل شئ بأقصى قدر من الدقة.

أما فى المرحلة المتأخرة فقد أنكر فتجنشتين امكان ايجاد مثل هذه اللعبة . فمن المستحيل أن نقضى على الخلط قضاء مبرما .

وهكذا فاننا ،حين نتعلم كيف نلعب عددا من الألعاب اللغوية المتنوعة ،نكتسب معنى الكلمات عن طريق استخدامها ومن خلاله .وفى بعض الأحيان نعبر عن ذلك بطريقة أخرى فنقول أننا نتعلم "النحو" أو " المنطق " الخاص بكلمة معينة ،وهو تعبير فنى أصبح شائعا على نطاق واسع فى التحليل اللغوى . ومن هنا فان اشارة المشكلات الميتافيزيقية ينجم عندئذ عن نقص فى ادراك " النحو " الخاص بالكلمات . ذلك لأننا بمجرد أن نفهم القواعد فهما صحيحا ،لا تظل لدينا رغبة فى طرح مثل هذه الأسئلة ،بعد أن يكون العلاج اللغوى قد شفانا من هذه الرغبة (٤٢).

وعلى أية حال فان فتجنشتين يعد بحق الصورة الواضحة لحركة التحليل فى تطورها المعاصر،فقد تابع مور ورسل فى ثورتهما ضد المثالية ،الا أنه قد بالغ فى هذه الثورة ،حتى غدت هذه الثورة لا ضد المثالية فحسب ،بل ضد الميتافيزيقا والفلسفة ذاتها .. فعلى حين كانت سمية " أوكام " نصلا يجتز به الزيادات الطائشة للفلسفة ، كانت نظرية فتجنشتين عن اللغة فأسا يقطع بها شجرة الفلسفة .

ومما لا شك فيه أن ثمة ارتباط فكرى بين مور وفتجنشتين غير واضح المعالم وخاصة فى الكتابات المتقدمة لهذا الأخير،

مع أن فتجنشتين فى كتاباته المتأخرة قد اقترب من مور قدر ابتعاده عن رسل ،حيث كان تركيزه الكبير على اللغة بمضى بخطى سريعة فى الطريق الذى رسمه مور .

ولكن بينما لم يذكر فتجنشتين ما أخذه عن مور، أو الاشارة الى مدى تأثير مور عليه ،فاننا نجد مور فى سيرته الذاتية يشيد بموقف فتجنشتين الفكرى ويمتدح عقليته الفلسفية وتأثيره الايجابى عليه ،ثم يقول : " لقد جعلنى أعتقد بأن ما هو مطلوب لحل المشكلات الفلسفية التى حيرتنى انما هو منهج مختلفا تماما عن أى منهج قمت باستخراجه " (٤٣).

أما عن علاقة فتجنشتين برسل فهى من نوع معقد الى حد ما فقد لعب رسل فى هذه العلاقة الفكرية أدوارا متعددة بل ومتناقضة أحيانا ، فقد لعب دور الأستاذ الذى يعطى ويفيد ،ودور التلميذ الذى يأخذ ويستفيد ،ودور الصديق الند لصديقه ،ثم أخيرا دور الخصم الذى يناصب خصمه العداء. ولعل الأدوار الثلاثة الأولى أسفرت عن ظهور كتاب " الرسالة " عام ١٩٢٢. بحيث يمكننا القول بأن آراء فتجنشتين التى عرضها فى "الرسالة" تستند على أساس منهج رسل فى التحليل وبالتالى على ميتافيزقا رسل (٤٤).

وهكذا يتبدى لنا أن فتجنشتين لم يلتزم بموقفا استاتيكى واحد بصدد فلسفته اللغوية بل أنه كان يطور ويعدل فيها كلما نضج فكره وتعمقت آراؤه . ولعل هذا هو ما يمثل الاجابة على تساؤلنا الأول الذى ضمناه مقدمة هذا البحث .

أما عن الافتراض الثانى والمتعلق بمكانة فتجنشتين بالنسبة الى غيره من الفلاسفة اللغويين فلقد ظهر لنا أن مكانته كانت كبيرة ومؤثرة ،ورغم أن فتجنشتين قد تأثر بغيره من فلاسفة اللغة وخاصة بالمعاصرين له الا أنه أثر فيهم أيضا أكبر التأثير وذلك باعتراف معاصريه من الفلاسفة .

ويمكننا القول فى ضوء الاجابة على تساءلنا الثالث والأخير بأن فلسفة فتحنشتين اللغوية لم تكن جديدة ومبتكرة تماما ،اذ شاركه غيره بعض أفكاره ، لكن فلسفته اللغوية جاءت بشىء من النضج والاتساق والعمق مما لم يتوفر لأقرانه بل ومما وضعته فى مكانة بارزة بين فلاسفة اللغة دون استثناء.

ه ه ه

الهوامش والمراجـــع

(١) عرفى اسلام ; اتجاهات فى الفلسفة المعاصرة ،وكالة المطبوعات الكويت عام ١٩٨٠، ص ١٧ .

(2) Popkin , Richard H . & Avrun Stroll ; Philosophy Made Simple, Heinemann London , 1981 , P. 273 .

(٣) زكى نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،عام ١٩٨٠، ص ٦٦ .

(٤) محمد مهران : فلسفـــة برتراندرسل،دار المعارف ،القاهرة عام ١٩٧٩، ص ١٢.

(٥) زكى نجيب محمود: موقف من الميتافيزيقا ،دار الشروق،القاهرة عام ١٩٨٣، ص ٢٠٢.

(٦) المرجع السابق ، نفس الموضع .

(7) Hamburger, Jean ; La Philosophie des Sciences aujourd'hui, Gauthier - Villars ; Bordas , Paris , 1986,P. 67.

(٨) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة ،دار مصـــر للطباعة ،مكتب مصر، القاهرة عام ١٩٦٨، ص ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(9) Munitz , Miltonk ., The way of Philosophy, Macmillan Publishing Co.,Inc., New York , 1979, p. 304.

(10) Ibid , PP. 302 - 303 .]

(11) Popkin , Richard H. & Avrun Stroll; Philosophy Made Simple , p. 274 .

(12) Munitz , Milton K ., The way of Philosophy PP. 303 - 304 .

(13) Quinton , A.M.," Contemporary British Philosophy", in a Critical History of Western Philosophy ed. by O'Connor, D.J., Callier Macmillan Publishers, London , 1964 , P. 536 .

(14) Munitz . Milton K., The way of Philosophy, PP. 304 - 305 .

(15) Quinton , A.M. ; " Contemporary British Philosophy ", in a Critical History of Western Philosophy , p. 540.

(16) Munitz , Milton K., The way of Philosophy, p P. 306 .

(17) Ibid, P. 306.

(18) Quinton,A.M.," Contemporary British Philosophy , pp. 535 - 536.

(19) Ibid, P. 536 .

(20) Ibid, P. 537.

(٢١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ،دار النهضة العربيـــــة ، القاهرة ١٩٧٦، ص ٥٧.

(٢٢) زكى نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ، ص ١٢٦.

(23) Quinton, A.M.," Contemporary British Philosophy", in A Critical History of Western Philosophy, p. 541.

(24) Muintz, Milton K., The way of Philosophy, P. 306.

(25) Ibid , P. 307.

(26) Quinton , A.M.;" Contemporary British Philsophy", in A Critical History of Westrn Philosophy , p. 539.

(27) Munitz , Milton K., The way of Philosophy, P. 307.

(28) Ibid , P. 308 .

(٢٩) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة ،ص ص٢٧٢-٢٧٣.

(30) Munitz . Milton K., The way of Philosophy, PP. 308 - 309 .

(31) Popkin , Riochard H. & Avrun Stroll; Philosophy Made Simple , pp. 275 - 276.

(٣٢) زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ، ص ٢٠.

(٣٣) عبدالفتاح الديدى: الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة ،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة عام١٩٦٦،ص ص ٢٧ - ٢٧١.

(34) Popkin ,.Richard H. & Avrun Stroll; Philosophy Made Simple , pp. 276 - 277.

(35) Ibid, P. 278 .

(٣٦) زكى نجيب محمود : نحو فلسفة عالمية ، ص ٥٩ ٠

(37) Popkin , Richard H. & Avrun Stroll,Philosophy Made Simple, PP. 279 - 280 .

(٣٨) برتراندرسل : فلسفتى كيف تطورت ، ترجمة عبد الرشيدالصادق، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،عـــام ١٩٦٠، ص ٣٧ ٠

(٣٩) زكريا ابراهيم : دراسات فى الفلسفة المعاصرة ،ص ص ٢٦٥- ٢٥٧٠

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٩٠

(٤١) المرجع السابق ،ص ٢٧١ ٠

(٤٢) برتراندرسل : حكمة الغرب ،ج ٢ ، ترجمة فؤاد زكريـــا ، العدد ٧٢، مجلة عالم المعرفة ، الكويـــت ، ديسمبر ١٩٨٣، ص ٣١٢ ٠

(٤٣) محمد مهران : فلسفةبرتراندرسل ، ص ٢٦٠

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٠